الحكمة وفصل الخطاب، وأنزلت في محكم الكتاب (فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب)

(وبعد)، فقد دخل المنار في هذا العام في السنة الخامسة عشرة من عمره وهي سن بلوغ الحلم الغالب في الانسان، وبدء الرشد في عرف شريعة الاسلام، فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يلهمنا فيه رشدنا، ويبلغنا قصدنا، وينفعنا بما نطلبه في هذه النوائح من نصح الناصحين، ونقد الناقدين، ومن آيات الفوز والرشاد، أن وفقنا عزشأنه للشروع على رأس هذه السنة في تنفيذ نظام مدرسة (دار الدعوة والارشاد) التي نرجو أن تكون خير ما انشىء في البلاد، لاصلاح ما استشرى من الفساد،

قطع المنار هذا الطور الأول من حياته وحده، فدرج درجان الطفل غادر مهده، الى أن بلغ رشده، فلا أخذ بيده أمير، ولا أعانه وزير، ولا أمده غني كبير، اللهم الا ان مصطفى رياض باشا (تغمده الله برحمته) وكان نسيج وحده في كبراء هذه البلاد، في اعانة الصحف ومساعدة أرباب الاقلام، وكذا سائر مايعتقد نفعه من الاعمال، ارسل الي مرة قيمة الاشتراك مضاعفة اضعافا، فقلت لرسوله انني لا أقبل من أحد مالا لامقابل له مني، فعاد اليه بها فاشترك بعد ذلك بعشر نسخ من المنار ثم جعلها خمس عشرة نسخة، وجعلها نجله محمود باشا من الباقيات الصالحات له، واني أعلم كما يعلم كثير من الناس، أن المنار لو صدر على عهد وزارة رياض، للقي من مساعدته بنفوذه، أضعاف مالقي من مقاومة غيره، فانه كان مغرما به، كثير الذكر له والثناء عليه في مجالسه، وكان مثل هذا أمرا مفعولا في عهد وزارته،

واذا كان رياض باشا قد حسن قوله في المنار وعمله ، فمالي لا أذكر بالخير من حسن قوله ونيته ،ذلك ابراهيم باشا فؤاد الذي كان ناظر الحقانية رحمه الله تعالى ، كان يرى ان المنار أنفع الصحف للمسلمين ، ويود لو يعم انتشاره بين طلاب العلوم وجميع الطبقات ، وقد سمعت منه منذ السنة الاولى مايدل على رأيه هذا ، واخبرني بمثل ذلك عنه احمد فتحي زغلول باشا ، وقال انه ذاكره في وضع مشروع لتوزيع المنار على طلاب العلم والفقراء من القراء بثمن قليل جدا لايثقل على أحد منهم او جعل ثمنه قليلا لكل قارئ بجمع مال بالاكتتاب يرصد لذلك . فكر رحمه الله تعالى في ذلك وقدر ، وذاكر وشاور ، ثم لم يعمل شيئا ، جزاه الله على نيته خيرا

اشرت في فواتح السنين الماضية الى ما كان يلقى المنار من المقاومة والمعارضه ، والمناصبة والمناهضة ، وذكرت في بعضها شيئاً من تاريخه الاصلاحي والسياسي ، وأحببت أن أذكر في فاتحة هذه السنة ما فيه العبرة من تاريخه المالي ، إذ يظن بعض الناس أنه أصاب كفلا من المساعدة والامداد ، المعتاد مثله في هذه البلاد ، فلم أجد فيه الا ما ذكرته لرياض باشا من قول وعمل ، ولابراهيم باشا فؤاد من قول ونية ، ورياض باشا هو الذي اخذ بأيدي أصحاب الصحف الكبرى بمصر في أيام وزارته ، سواء كانوا من نصارى السوريين ، أو القبط أو المسلمين ، فهو صاحب الفضل الأول على الاهرام والمقطف وجريدتي الوطن فالمؤيد، ساعد هذه الصحف مساعدة الوزير النافذة إرادته ، المسموعة كلمته ، المطاع أمره واشارته ، الطويل باعه المبسوطة يده ، فمساعدته للمنار لا تقرن بمساعدته تلك الصحف ، وانما أقول هذا مزيداً في تكبيره في نفسه ، وتمييزه

بين ابناء جنسه ، لا لتصغير معروفه والتقصير في شكره

[ لعله لولا مثل تلك الموازرة لما نبتت تلك الصحف في أرضنا نباتاً حسناً ، ولما استغلظ نباتها واستوى على سوقه ، ولما أينعت ثمرتها وآتت اكلها ، ذلك بأن الجهل وضعف الاخلاق وفساد نظام الاجتماع جعل بلادنا كالأرض السبخة ، لا تنمو فيها شجرة العلم الا بعناية خاصة من الخاصة ، وها نحن أولاء قد تعودنا قراءة الصحف اليومية عشرات من السنين ، وصرنا نعدها من حاجات الحضارة والمدنية ، ولكن هيأتنا الاجتماعية لا تزال قاصرة او مقصرة في القيام بما يجب من حقها ، لما ذكرنا من ضعف النفوس ومرض الاخلاق فيها ، حتى إن كثيرين من رجال الطبقة العالية فينا كالمدرسين والمؤلفين والقضاة يمطلون ويسوفون فيما يجب عليهم من اشتراك الجريدة او المجلة ، ومنهم من يهضم هذا الحق ويستحل أكله ، ومن الوقائع القريبة في ذلك أن بعض المعروفين بشرف النسب والثروة والعلم والتأليف قال لوكيل المجلة بعد ان ارجأه طويلا اني لا ادفع قيمة الاشتراك لانني من العلماء ! ! فاذا كان أكل اموال الناس بالباطل ، مما يجهر به الشريف الغني العالم ، ويعده من ثمرات العلم ومزايا العلماء ، فممن ننتظر الوفاء ؟ دع التعاون على المصالح العامة والاصلاح ، لا أقول تقطعت من هذه الأمة جميع اسباب الوفاء والتعاون ، وانبتت سائر حبال التكافل والتضامن ، وانما أقول ان ذلك قد قل فيها وضعف ، على نحو ما اصف ، وكان من أثره ضياع ملكها ، وهوان امرها ، وهذا ما نعني بعلاجه ، ونسعى لتلافيه ، ، والله لو كان هذا المنار يراد للمكسب ، لما بلغ سن الرشد ، الخير والكمال للمرء ان يعمل باستقلاله ، وان لا يكون لأخذ

عليه فضل ولا منة ، بأن لا يأخذ منه مالا بغير مقابل ولا جزاء لمنفعته الخاصة ، وان كان يستعين به على المصلحة العامة ، وأما قبول المال لا نفاقه في صالح الاعمال ، فهو لا ينافي الفضيلة والكمال ، كأن يشترك مريد الاعانة المالية للصحف الدورية ، او الكتب العلمية ، بنسخ من الكتاب ، توزع على من شاء هو أو شاء المؤلف من القراء ، كما قبلنا اشتراك المرحوم رياض باشا بخمس عشرة نسخة من المنار ، واشتراك ذلك المحسن المستتر في العام الماضي بست نسخ منه ، واشتراك مولوي محمد انشاء الله صاحب جريدة (وطن) في مدينة (لاهور) بمئة نسخة من كل جزء يصدر من تفسير المنار ، توزع على خطباء المساجد في بعض الاقطار ، وكان اقترح علينا هذا الفاضل ان يجعل لنا راتبا شهريا مدة الاشتغال باتمام التفسير ، بشرط اتمامه في زمن قريب ، فلم نقبل هذا منه ، لانه جزاء على عمل نعمله لله عز وجل ، لا ترويج له كالاشتراك ، ولنا بذلك اسوة بنبينا صلى الله عليه وسلم ، وصاحبه الصديق الاكبر ، فقد ورد أن ابا بكر رضي الله عنه قد انفق جميع ماله في سبيل الله ورسوله ، وورد ان النبي (ص) لم يقبل منه الراحلة يوم الهجرة الا بثمنها ، وورد أن أبا بكر لم يسأل النبي (ص) لنفسه شيئاً قط ، وانما قبل النبي (ص) ماله لا نفاقه في نشر دعوة الاسلام لا لنفسه . وقد كان صلى الله عليه وسلم يحتاج الى النفقة على أهله احيانا فيقترض من اليهود ، وكان يجزي على الهدية ، ولا يقبل الصدقة ألبتة ، لان الله كرمه بتحريمها عليه وعلى أهل بيته ليكونوا قدوة للناس بعزة النفس ورفعتها

تلك هي الفضيلة وذلك هو الكمال ، ولمثل هذا هدانا الاسلام ، ولكن العمل بما دون هذه الدرجة العليا من الكمال الاسلامي صار عسرا

جدا لقلة المواتي والمشارك فيه ، والمعين عليه ، وأما ارتقاء تلك الدرجة، بل العروج الى تلك الذروة ، فأوشك ان يكون من خوارق العادات ، التي قد ينالها بعض أهل العزلة والانفراد، دون أصحاب الاعمال العامة التي تصلح بها أحوال الناس ،

علمنا من كتاب الله تعالى ومن الاختبار المصدق له، أن الناس ازواج ثلاثة في كل شأن ، كما كانوا في كتاب الله عز وجل « فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ، ذلك هو الفضل الكبير » وانما تسعد الامم وتشقى بحسب النسبة العددية في كثرة هذه الازواج وقلتها . فالامة التي يكثر فيها الظالمون لانفسهم [1] بترك مايجب عليهم، ويقل المقتصدون ، الذين هم للحقوق يؤدون ، فلا يلوون ولا يمطلون ، ويندر أو يفقد السابقون بالخيرات ، الذين لايقفون عند حدود اداء الواجبات ، بل يزيدون عليها ماشاء الله من النوافل والتبرعات ،وينهضون بالمصالح العامة ، ويقومون بالمنافع المشتركة ، فتلك هي الامة التي يتهدم بناء مجدها ، ويزول عزها وملكها ، وتصير مستعبدة لغيرها، وتخسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين

وأما الامة التي يقل فيها الظالمون ، ويكثر فيها المقتصدون ، ويكون زعماؤها والقائمون بمصالحها ، من السابقين بالخيرات ، المتعاونين على أنفع الأعمال ، فتلك هي الامة التي ترث الارض ، وتستمتع بنعمة السيادة

---

( ١ ) ان الذي يمنع الحق الذي عليه للناس يكون أشد ظلما لنفسه ممن يمنع حق الله ، لأن الله لايغفر له حقوق عباده ، ولانه يكون قدوة سيئة ومغريا لغيره بظلمه

والملك ، وتسابق مع من يشاركها في صفاتها الى غايات المجد المؤثل . ويكون السبق للامثل فالامثل .

نحن ولا كفران لله من المتخلفين المقصرين ، وقد سبقتنا الامم كلها بعد أن كنا نحن المقتصدين والسابقين ، والظالمون لا نفسهم وامتهم منا فريقان : فريق يجهلون علته ما جهلوا أو تركوا من هدي الدين ، وهو ما عمل به سلفهم فكانوا هم الائمة الوارثين ، ويحاولون ان يقطعوا هذه الامة أمما ، ويسلكوا بها الى المدنية طرائق قددا ، وهم ما عرفوا حقيقة المدنية الفاضلة وكنهها ، ولا ما يصلح للمسلمين ويتفق مع طبائعهم منها ، ولكنهم في طلب قشورها مقلدون ، هذا تركي يقول يجب ان تكون السيادة والسلطة للترك ، وهذا عربي يقول اذا لم تكن المساواة فالعرب أولى بالملك ، وهذا مصري يقول مصريون قبل كل شيء ، وهذا فارسي يقول أنا فارسيون قبل كل شيء ، والامم الطامعة من ورائهم تقول أنتم مستعبدون قبل كل شيء ، ومستعبدون بعد كل شيء ، لانكم لستم بشيء ، فأولئك هم المتفرنجون ، الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون ، ( واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون ، الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون )

ومن دونهم في الجناية على الامة ، واطالة اجل النقمة ، فريق آخرون ، لا يسيرون بالناس ولا يدعونهم يسيرون ، وهؤلاء هم الذين يدعون أهل الجمود ، الذين رزئوا بالخمول اوالقنوط ، ويعتذرون بقرب الساعة وفساد الزمان ، وخروج الاصلاح من محيط الامكان ، وفسوق أرباب الملك والسلطان ، وانك لتجدهم على ما لبسوا من ثياب الدين ، أذلة على المفسدين والظالمين ، أعزة على الصالحين المصلحين ، فهم يجذبون الامة من ورائها

لتصبر على المكث في جحر الضب ، كما جذبها أولئك من أمامها لتخرج الى باحة الفسق ، يضيعون على الامة دنياها ، ويعجزون ان يحفظوا عليها دينها ، ذلك بأنهم في دينهم من المقلدين ، فلا يستطيعون إقامة حجته على المستقلين ، ولا دفع الشبهات التي ترد عليه من المعارضين ، وقد وعد الله بنصر من ينصره وما هم بمنصورين ، وكتب الغلب لحزبه وما هم بغالبين ، وتراهم قد غلب عليهم الذل « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين »

هذه حالنا التي تنذر امتنا سوء مغبتها في كل عام ، فيتمارون بالنذر ويتبارون في الآثام ، ويزدادون في التفرق والانقسام ، الى ان شعروا بزوال ملكهم في هذه الايام ، صخت سمعهم صيحة سقوط الدولتين اللتين لهم في الشرق والغرب ، وتلتها صيحة الدولة العلية وهي في مكان القلب ، فعسى ان يكون الوقر قد زال من اسماعهم ، والغشاوة قد انقشعت عن ابصارهم ، والرين قد انكشف عن قلوبهم ، وأن يدركوا بعد هذا كله أن المصلحين فيهم هم الامة الوسط ، التي تجمع بين مطالب الروح والجسد ، وتقيم امر الدنيا والدين ، كما هدى اليه الكتاب المبين ، والمنار هو لسان حال هذا الحزب ، الذي يزداد أهله نموا في الارض ، وقد وفقهم الله في عام الرشد لتأسيس دار الدعوة والارشاد ، وستفتح ابوابها لجميع المسلمين من جميع العناصر والبلاد ، ويتلو لسان الحال على رؤس الاشهاد ، ( ياقوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد « فستذكرون ما أقول لكم وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد )

منشئ المنار ومحرره
محمد رشيد رضا الحسيني
ناظر دار الدعوة والارشاد بمصر

# ذكرى الهجرة النبوية الشريفة

﴿ وجعلها تاريخا عاما للبشر ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الله أكبر ، هذا هلال العام الجديد عام ١٣٣٠ للهجرة النبوية الشريفة . هذا هو الهلال الذي يذكرنا في كل سنة بذلك النور الذي كان خفيا في مكة المكرمة ، فأشرق بالهجرة في المدينة المنورة ، ثم امتد منها الى جميع أرجاء العالم ، فدخل به العالم الانساني في عصر جديد ، فكان تاريخا للانسانية جديدا



الله أكبر ، هذا هو الهلال الذي يذكرنا في فاتحة العام ، بذلك الاصلاح العام ، الذي جاء به الاسلام ، فاستفاد منه جميع الأنام ، ثم حالت الاحوال ، فصار حظ المسلمين من سعادته دون حظ غيرهم ، حتى آل أمرهم في العام الذي ودعناه الى مايعرفه كل أحد ، من وقوع خطر وتوقع خطر ، فعسى ان يكون حظ هلالنا السياسي الاجتماعي في هذا العام الجديد خيرا منه فيما قبله ، ولا يكون كذلك الا بالرجوع الى تلك الهداية العليا : هداية التوحيد والاعتصام ، بعد الشقاق والخصام ، « ولا تنازعوا

فتفشلوا وتذهب ريحكم » وبالسير على سنن الله في خلقه « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا » وبتغيير ما بأنفسنا من الاخلاق والافكار ، التي خالفنا فيها سلفنا الاخيار « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

دخل العالم بالهجرة النبوية في عصر جديد لم يسبق له نظير في التاريخ فكان جديرا بأن يكون تاريخا للبشر كافة ، لا للمسلمين خاصة ،

قضى الاسلام قضاءه المبرم على الوثنية التي أذلت البشر واستعبدتهم للملوك المستبدين ، والرؤساء الروحانيين ، ولمظاهر الطبيعة وما يمثلها في الهيا كل من الاصنام والاوثان ، وقرر حرية الاعتقاد والوجدان ، والاجتهاد الاستقلالي في العقائد والاعمال ، والشورى في السياسة والاحكام ، وأبطل امتيازات الانساب والاجناس ، التي كان يستعلي بها الناس على الناس ، بغير علم نافع ، ولا عمل رافع ، وجعل قاعدة الانسانية العامة قوله عز وجل « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم »

هذا درس عام في حقوق الانسانية العامه ، علمه الاسلام لجميع البشر بالقول والفعل ، فاستفادوا منه بقدر استعدادهم في كل عصر من الاعصار ، فاذا كانت العرب قد سبقت غيرها الى الاستفادة منه لانه ألقي بلغتها وظهر فيها ، فأزالت ظلم الرومان وغيرهم من المتغلبين القاهرين للانسانية ، وأحيت العلوم والمعارف ، وأنشأت جنات المدنية في الشرق والغرب ، ـ فرب لاحق يبذ السابق ، كما رأينا الشعوب الافرنجية قد أخذت المدنية عن أجدادنا أهل الاندلس وغيرهم وبرزت علينا فيها ،

فكل هذا مما يجب أن يذكرنا به تاريخ الهجرة فنعلم ان البشر لو انصفوا لجعلوه التاريخ العام لهم

كان البشر قبل الاسلام متقاطعين ليس بينهم صلة عامة ، وكانت المدنية تظهر في قطر من أقطارهم ثم تختفي وتزول قبل أن تتصل بسائر الاقطار ، بل كانت الاديان ذات السلطان الاعلى على البشر تشرع وتنسخ فلا يمر زمن قليل الا ويذهب أصلها وينقطع سندها ، وما اتصلت حلقات سلسلة العلم الالهي والبشري ، وسلسلة المدنية والاعمال البشرية ، الا بهذا الانقلاب الاسلامي الذي جدد تاريخ البشر ، فصار جميع مايؤلف في بغداد وسمرقند وخراسان وغيرها من مدن الشرق ، ينسخ ويقرأ في عصر مؤلفيه بقرطبة وغرناطة وسائر مدن الاندلس في أقصى الغرب ، ( واحكم على العكس بحكم الطرد ) فبهذا كانت الهجرة أجدر حوادث الكون بأن تكون مبدأ تاريخ عام للبشر — كذلك أشرعت منذ ذلك العصر ، طرق التجارة بين الخافقين في البر والبحر ، وصار يتحقق بالتدريج ماهدى القرآن البشر اليه من حكمة التعارف بين الشعوب والقبائل ، الذي يمهد السبيل الى الاخوة الانسانية العامة . ولولا ذلك الروح الالهي الذي بثه الاسلام في الناس ، لما تيسرت لهم تلك المواصلة في ذلك العهد الذي لم تكن تعرف فيه الكهرباء ولا البخار ، وانما كانت همة المسلمين نائبة عن قوى الطبيعة التي عرف منها تلاميذهم من بعدهم ، ما كانوا أعدوا عدته ومهدوا طريقه لهم ، فكما سرت جميع شعوب المدنية في ذلك وغيره على طريقهم ، كان ينبغي ان يشاركوهم في تاريخهم ،

أحيا المسلمين ما كان أماته الزمان من علوم اليونان ، فاذا هي علوم

أكثرها نظري وأقلها عملي ، وكان من هداية الاسلام لهم ان يقرنوا العلم بالعمل فكانوا هم الذين وضعوا قواعد التجربة والعمل للعلوم الطبيعية، فجعلوا الكيمياء الخرافية كيمياء عملية ، وعلى هذه القاعدة بنى تلاميذهم الافرنج علومهم التي قامت بها المدنية الحديثة ، فبهذا كان الاسلام فاتحة عصر جديد ايضاً ، وكان تاريخ الهجرة الشريفة جديراً بأن يكون تاريخاً عاماً للبشر كلهم

انما شرعه الاسلام من الهجرة تربية عالية للبشر ، الذين قرن الله تكريمهم في كتابه بتعظيم شأن السفر ، فقال « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر » فالهجرة عبارة عن فرار الانسان بحريته في فكره ووجدانه وعمله من الارض التي يضطهد فيها ويظلم ، الى الارض التي يكون فيها حراً عزيزاً

قال تعالى « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها » ولما اشتد ايذاء المشركين للمؤمنين في مكة أمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين بالهجرة الى الحبشة ، وعلل ذلك بان ملكها النجاشي لا يظلم عنده أحد ، فثبت بالكتاب والسنة ان الهجرة قد شرعت لتكريم البشر ، وتعظيم شأن الحرية ، واباء الظلم والذل والضعف ، وقد كان المسلمون أعز الناس وأكرمهم نفوساً ، وأشدهم اباء للذل والظلم ، عندما كانوا عالمين باسرار هذا الاصلاح الذي جاء به دينهم عاملين به ، ثم سرى هذا الاباء والعز منهم الى غيرهم ، بعد ما ضعف فيهم ، فكان خيره عاماً منتشرا في البشر . فما أجدر الهجرة الشريفة أن تكون تاريخاً عاماً لهم

أشرق نور النبي صلى الله عليه وسلم على مدينة يثرب عند دخول الشمس في برج الميزان أول الاعتدال الخريفي ، ( ٢٣ سبتمبر ) فكان ذلك اشارة الى ما دخل فيه العالم من عصر العدل والاعتدال ، فكان ينبغي للمسلمين أن يجعلوا ذلك مبدأ للتاريخ الشمسي للهجرة الشريفة عند حاجتهم اليه لاجل المعاملات المالية ، كما جعلوا التاريخ القمري للمعاملات الدينية ، فاذا كنا قد دخلنا اليوم في عام ١٣٣٠ الهجري القمري فقد دخلنا منذ ثلاثة أشهر في عام ١٢٩٠ الهجري الشمسي . فهل لمصر أن تكون السابقة الى استعمال هذا التاريخ الشمسي ، كما كانت هي السابقة للعالم الاسلامي كله الى الاحتفال بذكرى التاريخ القمري . بعد ان كادت تنسى فيها باستعمال التاريخ الافرنجي الذي أخذناه عن الافرنج في هذا العصر وما كنا لنرجحه على تاريخنا بمحتاجين . لولا ان انحلت روابطنا . وسحلت مرائرنا ، لما استبدلنا بتاريخنا تاريخ غيرنا ، ولقد كان يوم تقرير الحكومة المصرية جعل التاريخ الافرنجي رسميا يوم فرح وسرور في أوربة ، لان ما تقلد به أمة أمة في أمر من الامور الملية العامة يكون دليلا على ضعف المقلدين « بكسر اللام » وعلو شأن المقلدين « بفتح اللام » ومقدمة لاستيلاء المتبوع على التابع والسيطرة عليه

يقول المقلدون منا انه لابد لنا من التاريخ الشمسي وان التاريخ الافرنجي قد اشتهر فهو أولى من احياء تاريخ الهجرة الشمسي الذي لا يفهمه أحد . وكذلك ينصح بعض الناس للدولة العثمانية أن تختار هذا التاريخ في معاملاتها المالية والرسمية . وهذه حجة الضعيف في استقلاله الشخصي والملي . ويرد هذا بأن الاستعمال يجيء بالشهرة ويجعل المجهول

معروف . فقد كان بدء جعل الميلاد أساسا للتاريخ في سنة ٦٤٤ هجرية ولم يكن مشهورا ولا معروفا ، ثم ظهر لهم الخطأ فيه فحرروه وصححوه ولا يزال مبنيا على خطأ استقر رأي الأكثرين فيه على قاعدة « الخطأ المشهور خير من الصواب المهجور » فما هو الموجب لترك ما عندنا من الصواب وتقليد غيرنا في الخطأ ، وتاريخنا أحق بالتعميم وأجدر ، وتقدم المرجوح في الزمن لا يجعله راجحا ، فالقدم أمر نسبي كما قال الشاعر :

ان ذاك القديم كان حديثا وسيبقى هذا الحديث قديما

لا يكفي في تعظيم الهجرة وإحياء ذكرى تاريخها أن نحتفل في هذا اليوم بالقاء الخطب ، وانشاد القصائد ، ونشر المقالات في الجرائد ، وانما يجب علينا تعظيمها بالعبرة والعمل ، والمقابلة بين ماضينا وحاضرنا ، لا لاجل التلذذ بذكر الماضي الجميل ، والغرور بما مضى وانقضى من ذلك التاريخ المجيد . ولا لاجل الشكوى من الضعف العتيد ، واليأس من المستقبل القريب أو البعيد ، بل لاجل أن نتذكر ونتدبر ، فنعلم أنه لا يصلح آخرنا ، الا بما صلح به أولنا ، كما قال أحد أئمة العلم من سلفنا ، وان في تاريخ الهجرة من ضروب العبرة ، وآيات الحكمة ، لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد

نودع عاما ونستقبل عاما فلا نطوي صحف عامنا الغابر على عمل يذكر ، ولا ينشر في صحف العام الحاضر مشروع للامة يشكر ، الا ما يرى في بعض البلاد من الحركة الضعيفة ، ودروج كدروج الاطفال وراء الشعوب القوية ، التي تسير امامنا بقوة البخار والكهرباء ، فتسبق الاراقم على الارض والطيور في الهواء ، وانا لنرى حولنا في كل عام فتنا كقطع الليل المظلم .

كلما غشيتنا قطعة منها وجما وتألما ، وصحنا ونحنا ، فاذا هي انجلت عدنا كما كنا . لا نحسب لما بعدها حسابا ، ولا نعمل لها عملا ، أرضينا أن نكون ممن قال الله تعالى فيهم ( أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون )

كلا انا الى ربنا تائبون، ولما هدانا اليه من الجمع بين العلم والعمل متوجهون، بهذا تبشرنا الحوادث ، والى هذا تدعونا بل تدعّنا الكوارث ، ورب مصيبة أفادت عبرة ، خير من نعمة أحدثت غرورا وفترة ، وانا نهنئ اخواننا المسلمين على رأس هذا العام ، بما تجدد لهم من شعور الاخوة العام، ونبشرهم بأن جماعة الدعوة والارشاد قررت تنفيذ نظام مدرستها الكلية (دار الدعوة والارشاد) من غرة هذا الشهر فاتحة العام الهجري المبارك ان شاء الله تعالى ، وسينشر هذا النظام في الجرائد فيرون فيه أنه هو الضالة التي ينشدها المصلحون ، والرغبة التي ينتظرها المحسنون « لمثل هذا فليعمل العاملون » ناظر دار الدعوة والارشاد

محمد رشيد رضا

---

## علاوة للمقالة

كتبت هذه المقالة في سلخ ذي الحجة سنة ١٣٢٩ في ادارة المؤيد اذ كلفت ثمة ان أكتب مقالة افتتاحية لعدد المؤيد الذي يطبع في ذلك اليوم ويصدر في صبيحة المحرم افتتاح سنة ١٣٣٠ اوليلتها — كتبتها على عجل ومرتبو حروف المؤيد يأخذون مني كل ورقة قبل ان يجف حبرها،

ويستعجلونني بما بعدها ، فلم يسمح ضيق الوقت واستعجال العمل بشرح مسألة احياء التاريخ الهجري الشمسي والتوسع فيها ، لهذا رأيت ان أجعل لها هذه العلاوة الآن ، وأطبعها على حدتها وفي المنار »

من اختبر احوال المسلمين في هـذا العصر يرى في اخلاقهم وأحوالهم تناقضاً عجيباً اذ يراهم من اشد خلق الله غيرة على دينهم وحرصاً على جامعتهم الاسلامية ، ومن اشد خلق الله تهاونا واهمالاً في أمر دينهم ، وعدم المبالاة والاكثرات بما يحفظ جامعتهم ويقوي رابطتهم ، واذا بحث في اختلاف الوجوه بين هـذه الامور المتناقضة يرى شواهد كثيرة تدل على أن ما ذكر من حرص السواد الاعظم وغيرتهم محصورة في حب استبقاء الموجود ، واما تهاونهم واهمالهم وعدم مبالاتهم فلا تنحصر في ترك السعي لاسترداد ما فقدوا من علم وعمل ، ونور وهدى ، ومجد تليد ، وسيادة قديمة ، بل تتناول مع هذا ضعف الهمة في طلب المجد الطريف ، وعدم العناية في البناء والتجديد ،

لو كان هذا التفصيل الذي يدل عليه الاختبار ، ويثبته التمحيص والاعتبار ، عامًّا شاملا لجميع المعروفين من أهل الرأي والعمل من المسلمين ( على قلتهم ) لكان دليلا على ان المسلمين يموتون موتاً طبيعياً ، وان اعداءهم لا يحتاجون الى ادنى سعي في الاجهاز عليهم ، ومبادرة ما يخشونه من يقظتهم وانتباههم ، لأن اخص صفات الاحياء الذين يزدادون حياة وقوة هو أن يطلبوا ما يمد حياتهم ونموها ، وأخص صفات الموجودات المشرفة على الموت والفناء أن تنحل وتنقص يوما بعد يوماً فتألم لما ينقص منها ، ولا تطمع في زيادة تمد حياتها ولا تطلبها

نرى بعض الشعوب تحيا بعد موت فتجدد ما كان اندرس من مقوماتها ومشخصاتها ، كاليونان والارمن على تفرقهم ، والقبط على قلتهم ، ونرى المسلمين على كثرتهم ، واتصال أقطارهم ، قد صاروا طعمة لكل آكل ، ونهبة لكل طامع ، وأكثرهم راضون بسوء مامهم فيه ، ومنهم من يطلب تغييره بالانسلاخ من ماضيه ، والاندغام في شعب غريب لا يرتضيه ، وهؤلاء هم الذين يسمون أنفسهم المجددين ، وطلاب المجد والحضارة ، ومكوني الوطنية : وخالقي الشعور بالحياة المدنية ، والحق انهم شر من الراضين بما وصلنا اليه من الضعف والخمول، لان هؤلاء الخاملين قد رضوا بهذه الحالة التي لا نجد لها تفسيرا الا انها ما يسمونه « الموت صبرا» وأما المقلدون الذين رضوا بالانحلال وانطاهم الملية، وعفاء مقوماتهم ومشخصاتهم الموروثة، وانتحال جنسية لغوية او وطنية جديدة ،لااضطلاع لهم بها ، وليسوا الا مقلدين في انتحالها ، فانما رضوا ان يمحوا أنفسهم ، وينحروا أمتهم ، ويجعلوها غذاء لأعدائهم

هنالك حزب ثالث وسط بين ذينك الحزبين ، وهم حزب الله المفلحون إن شاء الله، الذين يطلبون المجد الطريف ، ليكون متحداً بالمجد التليد ، الذين يريدون الحياة بمقوماتهم ومشخصاتهم الخاصة بهم ، لا بانتحال ما هو من ذلك لغيرهم ، الذين يريدون صقل جوهرهم لتظهر خواصه ومزاياه في أكمل ما يمكن ان يكون عليه ، لا تحويله ولا تمويهه بما ليس منه ،

إن ما يُرى من ظواهر الحياة على حزب الجمود انما هو الذماء الباقي

لهم من الحياة القديمة ، وان ما يرى من أعراض الحياة على حزب التقليد انما هو صناعي مستعار من الامم الغربية ، والدماء لا يلبث أن يزول ، والمستعار مهما طال زمنه مردود ، وأما حزب الوسط فهم شهداء على الفريقين ، ولكنهم لا يزالون غرباء في ديارهم ، والرجاء كما قلنا منوط بهم أو محصور فيهم ، وهم المخاطبون باقناع أهل الاخلاص باحياء ما اندرس من السنن ، وسن ما يمد من النافع الحسن ، عملا بقول النبي ( ص ) « من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غيران ينقص من اجورهم شيء » وقد سن عمر بن الخطاب (رض) — ووافقه المسلمون كافة — سنة التاريخ الهجرية في الحساب القمري، ثم اشتدت الحاجة الى إحياء التأريخ بها في الحساب الشمسي. فما لنا لا نستعمل كلا التاريخين ،وقد هدانا الله تعالى في كتابه ونظام خليقته الى الحسابين « الشمس والقمر بحسبان »

انا نرى اهل الملل كافة والنصارى منهم خاصة يحافظون على تواريخهم الملية ولا يكادون يستعملون معها غيرها ، حتى انا نراهم ينقلون الشيء عن غيرهم كالمسلمين ويكون فيه تاريخ بعض الوقائع والحوادث فيحولونه في أثناء النقل الى تاريخهم حتى لا يفكر قراء ما يكتبونه او يقولونه ولو نقلا — في غير ما هو لهم .

بل نرى الملايين من الروم الارثوذكس لا يتركون ما اعتادوا من الغلط في تاريخ الميلاد الذي يعبرون عنه بالحساب الشرقي ، ونرى القبط يقدمون تاريخهم الخاص بهم الذي يسمونه تاريخ الشهداء على تاريخ الميلاد العام بين أهل ملتهم ، ولو تركوا تاريخ الشهداء الى تاريخ المسيح الذي يقولون انه رب الشهداء والهم لم يكونوا قد تركوا شيئا من

شؤونهم الملية الى ما ليس منها . فما بالنا نحن المسلمين نرغب عن تاريخنا الذي هو أجدر جميع التواريخ بالتعميم الى تواريخ الاغيار من الروم والافرنج والقبط وغيرهم ، ان ديننا يهدينا الى أن نكون أئمة متبوعين، فلماذا ذللنا حتى رضينا ان نكون مقلدين تابعين ، ونحن نرى الذين جعلناهم أئمة لنا يسخرون منا ويدعوننا متعصبين

الا ان من الذل والخسف الذي سنته الحكومة المصرية ما نراه في كثير من أوراقها الرسمية واعداد البيوت والمركبات وغير ذلك من تشريف الكلم والارقام الافرنجية على مثلها العربي ، فاما ان تجعل ما يكتب بالافرنجي هو الاعلى واما ان تجعله هو الادنى ، ومن طمس التفرنج نور بصيرته ، او طبع الذل على قلبه . فهذا مما لا يبالى به ، ولا يؤبه له ، [illegible] الافرنج ونقلده في بلادك ، وأنى ينفع [illegible] الامر الصغير ، لا يأبى حمله في الامر الكبير . وقد قيل في المقصورة

من ساسه الظلم بسوط بأسه   هان عليه الذل من حيث اتى

اذا اردنا ان نحيا حياتنا ان نهتم بكل ما نحتفظ به مقوماتنا ومشخصاتنا الملية الموروثة . وان نقتبس كل ما نراه نافعاً من حضارة هذا العصر ، بهذه النية وهذا القصد ، وان نهتم بالصغير والكبير من ذلك على السواء ، وان نجتهد لنكون رءوساً لا اذناباً ، وأئمة لا أتباعاً ، ومادمنا لا نستغني عن التاريخ الشمسي في معاملتنا المالية ونحوها ، فلا مندوحة لنا عن جعله هجريا كالتاريخ القمري في المعاملات الدينية

اذا اردنا ان نسن هذه السنة الحسنة فالطريق قد أشرع ، والحساب

قد وضع ، فقد صنف أحمد مختار باشا الغازي كتابا فيه سماه ( اصلاح التقويم ) وطبع بالعربية والتركية سنة ١٣٠٧ تكلم فيه عن تواريخ الامم والشعوب المشهورة وبين وجه الحاجة الى العمل بالتاريخ الهجري الشمسي ووضع له جدولا مطولا بين فيه السنين الشمسية الهجرية مع المقارنة بينها وبين السنين القمرية والسنين الشمسية الميلادية من ابتداء السنة الشمسية الهجرية الاولى الى سنة ١٥٩١ التي توافق آخر سنة ١٦٣٩ القمرية وسنة ٢٢١٢ الميلادية وقد استحسن ان تسمى الشهور بما هو نص في الدلالة على المسمى في تحديد الفصول ، فالسنة الهجرية الشمسية تبتدئ من أول الخريف فتسمى شهورها هكذا : الخريف الأول ، الخريف الثاني ، الخريف الثالث ، الشتاء الأول الشتاء الثاني الشتاء الثالث ، الخ . وسمى الربيع بهارا وهو لفظ تركي — وذكر وجها ثانيا ذكر بقية الشهور به وهو : أول الربيع ، اوسط الربيع ، آخر الربيع ، اول الصيف ، آخر الصيف ، أوسط الصيف . ويمكن ان يقال الربيع الادنى ، الربيع الاوسط ، الربيع الاقصى وهكذا ، ولعل هذا هو الاولى ، واي التعبيرات اختير فكل من سمع اسم الشهر يفهم معناه من لفظه

واخبرني احمد مختار باشا الغازي في القسطنطينية انه كتب تقريرا يطالب فيه من مجلس الأمة العثمانية العمل بهذا التاريخ وجعله رسميا للدولة . ولكن ما دامت الغلبة في المجلس للمتفرنجين المعروفين ، فلا ترجى اجابة هذا الطلب ، الا ان تطالب الأمة به من كل ولاية . واذا سبق مسلمو مصر الى استعمال هذا التاريخ والدعوة اليه فالمرجو أن يعم انتشاره في اقرب وقت ، والله الموفق

# فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

## ﴿ نقل كلام المخالفين أو المبطلين ﴾

( س ١ ) من صاحب الامضاء في دمشق

حضرة مولانا أوحد الاعلام عم الله بعلمه الأنام

اطلعت على كتاب لاحد علماء فاس ينتقد فيه ما جاء في مقدمة شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ( صحيفة ٤ من طبعة الحلبي الجديدة ) من نقله مذهب البغاة والخوارج ، ومقالة أبي القاسم البلخي في عبدالله بن الزبير ( في الصفحة نفسها ) يقول القاضي : سبحانك هذا بهتان عظيم ، فقبح الله قائله فكيف يليق نقل هذه العبارة ونشرها بين أهل الاسلام والزمان كما ترى ، وأهله الى ورا ( ثم قال القاضي ) ولما ذكر العلامة الابي في شرح صحيح مسلم ما ذكره أهل السير من الامور التي نقمت على سيدنا عثمان رضي الله عنه في خلافته . قال العلامة السنوسي في اختصاره ما نصه : قلت وقد نقل الأبي هنا كلاما في عثمان رضي الله عنه لا يحل له أن يفوه به ولا أن يكتبه وأخاف أن لا يفي بسيئته حسنة ما تعب في تآليفه كله نعوذ بالله من سوء الادب في حق الطاهرين المطهرين ، وأسأل الله لي وله العفو والصفح والمغفرة . والواجب على من نسخ تأليفه هذا أن لا يكتب فيه هذا المحل ومن اطلع عليه فلا يحل له أن يفوه به ولا أن يعتقد صدقه بلا شك والله الموفق اه كلام السنوسي

فهل من ملام على امام ينقل مذاهب الفرق وأقوالها ومعتقداتها وما تدين الله به مما تراه حقاً وصواباً وطاعة ، شيأ مع اجتهادها وما أداه اليه نظرها

وهل يلام من ينشرها ويعد مسيء الادب مع انه أوردها ابقاءً على المذاهب والآراء ، وإراءة لوجوه الخلاف ، وارشاداً لمواضع الشبه التي منها أتي من أتي

وهل السنوسي مستند في حظر التدوه به وكتابته وعده سيئة وجريمة تحبط عمل المؤلف في تأليفه كله

وهل يسلم له دعواه وجوب حذف مثل ذلك من التآليف حتى يفتح باب التلاعب في مؤلفات الاعلام بالحذف والزيادة والنقص ، وكان السنوسي لم ير كتب المقالات والمؤلفات في الملل والنحل لمثل الامام أبي منصور البغدادي والامام ابن حزم والشهرستاني وأمثال ما جاء في آخر المواقف للعضد . فما سبب هذا الجمود ونبذ مشرب سلفنا المحققين

وهل هذا يؤيد ما يرمى به القطر المغربي من التعصب الذي سبب له ما سبب مما حاق به ويحيق

وقد اطلعت على جواب كتبه بعض الاساتذة عندنا الا أني رغبت أن ازداد من العلم فيما يهم الوقوف عليه من ذلك لذا أرجو شرح هذا والتفضل بجوابه لازلتم مظهراً للافادة ، وكوكبا في أفق الفضل حامد بن أديب

الشهير بالتقي

( ج ) تختلف آراء الناس باختلاف معارفهم ومشاربهم، وحال الذين يعيشون معهم، حتى ان الرجلين ليحكمان في مسألة واحدة بحكمين مختلفين ، أو يريان فيها رأيين متضادين ، وكل منها صحيح القصد ، متوخ للمصلحة والنفع . وربما يرد كل منهما على الآخر ويقع التعادي بينهما أو بين أنصارهما فيصدق على كل من الفريقين انه مجاهد في غير عدو . ومن هذا الباب وضع بعض علماء السلف الصالحين لعلم الكلام وردهم على المبتدعة ، وانكار آخرين عليهم وعد علومهم بدعة ضارة ، حتى قال بعضهم لبعض : ويحك ألست تحكي بدعتهم ثم ترد عليها ؟ أي ان ذلك كاف في ذم علم الكلام وتحريم التأليف فيه لئلا يرى البدعة من لم يكن يدري بها

إني أرى ما قاله العالم المغربي المشار اليه في السؤال وما نقله عن السنوسي يدخل في هذا الباب ، على أن السنوسي من المصنفين في علم الكلام الذين نقلوا عقائد الكفار والمبتدعة وردوا عليها

لو كان ذلك المغربي عاش في مصر أو الشام أو الاستانة او تونس يرى كتب الملاحدة والنصارى في مدح دينهم والطعن في غيره ، ويرى جرائدهم منشورة متداولة أيضا لما تهيج عصبه وتبيغ دمه حتى اوجل ترأها في شرح نهج البلاغة لبعض فرق المسلمين . وسيرى في بلاده وقد أوقعها الجهل والتعصب للمألوف في قبضة فرنسة ما يهون بالاضافة اليه

كل ما رآه في شرح نهج البلاغة مخالفا لرأيه ومذهبه ، سيرى الكتب الكثيرة في الطعن في نفس القرآن العظيم ، والنبي الكريم ، عليه الصلاة والتسليم ، والكتب الداعية الى الالحاد ، المؤلفة لهدم كل اعتقاد ، وسيرى ان شبهات هذه الكتب ومشاغبات دعاة النصرانية من جهة ودعاة الالحاد والتفرنج من أخرى قد راجت في اذهان بعض قومه ، وان كشفها بالتسليم لقول امثاله من العلماء المعاصرين ، أو التقليد لنا في بعض كتب الميتين ، غاية لاتدرك ، وأمنية لا تنال

ان اطلاع العوام والطلاب المبتدئين على العقائد الباطلة ومقالات المبتدعة ، لا ينكر ضرره ، ولا تؤمن فتنته ، كاطلاعهم على سيرة أهل الفسق والفجور ، وطول استماعهم ما يرقيها النفوس ، كالاشعار والاغاني المشتملة على المجون ، فاذا كنا لا نستطيع منع افتتان أولادنا وعوامنا بالباطل الا بازالته وازالة أهله من الارض ، ولا منعهم من الفسق الا باعدام كل ميذونة المرض ، فنحن نخاطبهم من الكفر ولا من الفسق

ان الله تعالى — وهو العزيز الحكيم — قد حكى في كتابه المجيد كفر الكافرين والحادهم في آياته ، وطعنهم في كتابه ورسوله ، ولم يعجهم بقدرته من الارض ليحمي المؤمنين من أباطيلهم ، ويحول بينهم وبين غرورهم ، وهكذا فعل حماة الدين ، وحراس عقيدة الوحدة ، حكوا عقائد المخالفين ومقالاتهم وردوا عليها بالدلائل

انما يشدد النكير على من يكتب ما يخالف عقيدته او مذهبه أحد رجلين رجل شديد التعصب لما هو عليه ، يرى أنه يجب على جميع الناس موافقته فيه ، وان يتبعوا من اتبعهم ، ويقلدوا من قلدهم ، ورجل حريص على عقيدته ومذهبه ، وهو على غير بصيرة منه ، ولا ثقة به ، فهو يخاف ان تطير به كل ريح ، وان تذهب به كل شبهة ، ولا يليق هذا الضيق في الذرع ، والحرج في الصدر ، بالمسلم البصير في دينه ، المعتصم بيقينه ، وهو يعتقد ان الحق يعلو ولا يعلى ، وانه متى جاء الحق زهق الباطل ، وان الله يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ، وان بقاء الباطل في نومة الحق عنه ، وانما اللائق بصاحب هذا الحق واليقين ان يقذف بحقه على باطل غيره ليدمغه ، لا ان يشكو منه ويلعن من قاله أو كتبه ، ويوجب تحريقه والتصرف فيه

من الصواب أن نمنع أولادنا وتلاميذنا من قراءة كل ما نعتقد انه ضار أو باطل الى أن نكمل تربيتهم وتعليمهم ونثق بمعرفتهم للحق ، واستقلال عقولهم في الحكم ، فاذا نبيح لهم أن يقرأوا ما أحبوا فلا خوف من الباطل الضعيف اللجلج ، على الحق القوي الأبلج ، لان الحق هو صاحب السلطان والفلج ، ومن الصواب أن نصحح

## ﴿ أسئلة من الهند ﴾

(س ٢ - ٥) من صاحب الامضاء في بومباي

( بسم الله الرحمن الرحيم )

الى حضرة مرشد الامة ورشيدها الفيلسوف الحكيم صاحب المنار المنير دام اقباله ثم سلام الله عليك ورحمته ورضوانه. وبعد فقد اطلعت على الجزء الرابع من المجلد الثاني عشر لمناركم المنير ورأيت في باب الفتاوى السؤال الذي هو لأحد أبناء البلاد العربية في صدد (الرقص والتغني والانشاد في مجلس الذكر) والجواب عليه من علماء الازهر الشريف مع تذييلكم عليه بما فيه من التشديد والتكير على الاطلاق وتكفير فاعله ومن حضره(١). فعجبت جداً لهذا الجواب الذي لايشوبه أدنى ريب لان أمثال هذا في نواحينا كثيرة والعلماء أكثر، وكلهم من شافعي وحنفي ومالكي وحنبلي يجوز ذلك ويعده من الشعائر الدينية. والحقيقة ياسيدي أن الانسان ليحار جداً ونكاد تشكل عليه أمور دينه من حيث ان الازهريين ومن أشرت اليهم من علمائنا كل منهم مقلد لمذهب من هذه المذاهب ومع ذلك نرى الفرق كبيراً بين مايقوله هؤلاء وأولئك من جواز وتحريم فليت شعري ما هذا الخلف وما هذا الاشكال؟ وليت شعري كم لمالك من مذهب وكم للشافعي وأخويه من مذاهب؟ أرشدونا الى الطريق القويم أرشدكم الله الى خير الدارين؟ ثم يقول الاساتذة الازهريون (وأما نشيد الاشعار بتلك الالحان المحدثة والنغمات المطربة فهو حرام لايفعله الا أهل الفسق والضلال - الى قولهم - قال الامام الاذرعي اني أرجح تحريم النغمات وسماعها لقوله عليه الصلاة والسلام (ان الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل) اني أسلم بتحريم النغمات اذا كان يراد منها الاشعار المحدثة والنغمات المطربة، ولكن ماقول سيدي الاستاذ في خطبة الجمعة وتلاوة القرآن الكريم حيث ان الاثنين لايتلوان الا بالالحان كما لا يخفاكم، فهل هذا الفسق والنفاق والكفر تتناول هذين أم لا؟ واذا كان ذلك فما هو ذنب من حضره أعني السامع وما هو الا متبع ومقلد، كما ان

(١) ليس في تلك الفتوى تكفير كما قال، وتذييلنا لها ليس فيه تخفيف ما وعبارته توهم ان التشديد والتكفير في تذييلنا تبعا او استقلالا

الخطيب في نواحينا وسائر الاقطار الاسلامية الا القليل لا يدعى خطيبا الا اذا كان ذا صوت جيل وكذلك تالي القرآن الحكيم فما هو قولكم في ذلك ؟ وما هو معنى قوله تعالى ( ورتل القرآن ترتيلا ) أجيبونا عن ذلك وسامحني ياسيدي اذا أخذت جانباً من وقتكم النفيس أدامكم الله سراج هدى يهتدي به من ضل عن محجة الصواب واقبلوا في الختام فائق احترام المخلص ناصر مبارك الخيري

## ﴿ أجوبة المنار عن هذه الاسئلة ﴾

المذاهب واختلاف فقهائها

اعلم يا أخي أن المجتهد لا يكون له في المسألة الا رأي واحد ومن نقل عنه قولان أو أكثر في مسألة واحدة فاما أن يكون قد قال أحدهما في وقت ثم رجع عنه فقال القول الآخر في وقت آخر واما أن يكون النقل عنه غير صحيح ، والمسائل التي يتردد فيها ليس له فيها رأي

والمذهب له في عرف الناس اطلاقان ، عامي وخاصي ( فالاول ) هو نقل الاحكام التي قررها أو أفتى بها المجتهد في عرفها وعمل بها من غير وقوف على دليل المجتهد عليها واقتناعه به يسمى مقلداً له ، وهذا هو معنى المذهب الذي يدعيه الآن جميع المنتسبين الى المذاهب لانهم يظنون أن ما يقوله فقهاء مذاهبهم وما هو منقول في كتبهم كله مروي عن أئمتهم ، وان هؤلاء الفقهاء لاحظ لهم منه الا نقله وتفسيره ، وعلى هذا يتم تعجبكم من تناقض فقهاء كل مذهب في المسألة الواحدة . والصواب أنه يقل في هؤلاء الفقهاء من اطلع على كتاب للامام الذي يدعي أنه درس فقهه أو قرأ شيئاً مما نقله عنه تلاميذه ككتاب الام للشافعي والمدونة لمالك وكتب أبي يوسف ومحمد صاحبي أبي حنيفة رحمهم الله ورضي عنهم ، وانما قرأوا بعض كتب المتأخرين التي سنذكرها وصف أصحابها ، وما فهموها حق فهمها ، وكلهم يتجرأ على الفتيا فتختلف فتاواهم ، وتتناقض آراؤهم ، وفي كل قطر أفراد منهم ، يثق بهم عوام بلادهم ، كما هي عادة جميع العوام من جميع الملل مع رؤسائهم ، يقلدونهم كيفما كانوا ومهما كانت درجة علمهم أوجهلهم ، فان قاعدة التقليد والاتباع هي أن يثق الادنى بمن هو أرقى منه ولو في القراءة والكتابة مطلقا فالامي يرى متعلم القراءة أو الكتابة أرقى منه وان كان عامياً مثله . وكل هؤلاء المنتمين عاميهم ومتفقههم وفقيههم ( ان وجد ) ينسبون كل ما يعنون به الى أئمة المذاهب ويتعززون بأسمائهم ويتخذون هذه الاسماء أرماسا

وبجانبها يداهنون بها كل من يتصدى لارشاد العامة وبنهاها عن البدع والخرافات ، بل يتخذونها سلاحاً يحاربون به السنة وأنصارها

الاطلاق الثاني هو بمعنى مايسمونه الآن بالمسلك والمبدأ وهو طريقة المجتهد في استنباطه للاحكام وأصوله التي يفرع عنها كما بين ذلك في علم الاصول ، وهذا هو المعنى الذي كان يقصده أصحاب أولئك الائمة من الانتماء اليهم في عصرهم . ولم يكن أصحابهم مقلدين لهم يأخذون كلامهم قضايا مسلمة بغير دليل بل تعلموا منهم الاستدلال، ونقلوا عنهم علمهم ليكون مثالا يحتذى في استنباط الاحكام ، كما صرح بذلك المزني صاحب الشافعي في أول مختصره إذ قال « اختصرت هذا الكتاب من علم محمد بن ادريس الشافعي ومن معنى قوله لأقربه على من أراده مع اعلاميه نهيه عن تقليده وتقليد غيره ، لينظرفيه لدينه ويحتاط لنفسه »

ثم جرى على ذلك من بعدهم من العلماء ووسعوا دائرة الاجتهاد والاستنباط على ذلك النحو والمذهب ، ثم خلف من بعدهؤلاء خلف رضوا أن يكونوا عالة على من قبلهم واستنبطوا الاحكام من عباراتهم، ونشأت بدعة التقليد والاخذ بقول من يوثق بشهرته من غير دليل ، وما زال الناس يتدلون الى أن وصلوا الى قرار الهوة التي تعجب السائل من اضطرابهم واختلافهم فيها . وسننشر ان شاء الله تعالى في جزء تال جملة مفيدة في هذا البحث عن كتاب الارشاد للعماد السكري رحمه الله تعالى

وجملة القول ان سبب اختلاف من يسمونهم الفقهاء من أهل المذهب الواحد، هو أنهم ليسوا ملتزمين النقل عن امام أو عالم معين كما هو مقتضى التقليد الذي يدعونه ولاجارين على أصول واحدة في الاجتهاد الذي يأتونه وينكرونه ، فلا عجب اذاً في اختلافهم واضطرابهم ، ولاعبرة في دعواهم الانتساب الى أولئك الأئمة رضي الله عنهم

وهنا مسئلة ينبغي التفطن لها وهي دعوى المقلدين ان فائدة التقليد منع تشعب الخلاف في عامة الامة ، وخاصة اذا حصر في عدد قليل كالاربعة . وهذه الدعوى ممنوعة لافي مجموع المذاهب فقط بل في مقابلة كل مذهب مذهب أيضاً كما بين السائل ، وكما هو مشاهد لكل ناظر، وسبب ذلك انه لم يتفق للمنتمين الى مذهب من المذاهب المشهورة ، المنتشرة في أقطار كثيرة ، أن يتفقوا على دراسة كتاب أو كتب معينة ويعملوا بها على سواء ، سواء كانت كتب إمام ذلك المذهب أو كتب بعض المؤلفين المنتمين اليه ، وأنما ينحون في كل قطر من تصدروا فيهم التعليم والفتوى فيحرمون ما حرموا عليهم ، ويحلون ما أحلوا لهم ، ويجرون على ما أقروهم عليه من البدع ،

ويتركون ما تركوا من الدين ، وهؤلاء المتصدرون يتفاوتون في علمهم واجتهادهم — وكل منهم يجتهد في الوقائع التي تحدث في عصره ، وان أنكر الاجتهاد بلسانه وقلمه، وانما ينكره على غيره اذا خالف هواه فيه — ولذلك تتفاوت أعمال المتبعين لهم

وثم مسألة أخرى يغفل عنها الناس وهي ان علم الفتوى عند كثير من المتفقهة في أكثر البلاد الاسلامية لاصلة له بالعمل، فترى أحدهم يحضر الدعوات والاحتفالات، التي تؤتى فيها البدع والمنكرات ، ويهنئ أهلها ويدعو لهم ، ولا ينكر عليهم شيئاً من عملهم ، ولكنه قد يقرر في الدرس أو يكتب في الفتوى أو المصنفات ان هذه الاشياء من البدع والمنكرات ، وربما يصفها بأنها مما عمت به البلوى ، ومنها مايحلونه بالتأويل ، ومنها ما لا يجدون له تأويلا ، فاذا فطن السائل لما ذكرنا يذهب تعجبه ويزول استغرابه مما ذكره . وسيرى في الفتوى السادسة بعد هذه ان بعضهم أحل أكل أموال المعاهدين والمستأمنين ولو بالخيانة والسرقة، وهذا من أغرب شواهد المسألتين

ويدلنا ما ذكر على أن الهداية التي يجب الرجوع اليها اذا اختلفت الآ راء، وهي الامر على الناس ، هي كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسيرة السلف الصالح في العمل بهما ( فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا )

انشاد الشعر بالنغمات

اذا حكمنا كتاب الله وسنة رسوله ( ص ) في هذه المسألة لا نجد فيهما دليلاً على تحريم انشاد الشعر بالنغمات والحديث الذي ذكروه لا يصح فقد رواه أبو داود والبيهقي عن ابن مسعود وفي اسناده شيخ لم يسم وفي بعض طرقه ليث بن أبي سليم قال النووي انه متفق على ضعفه . وقد فصلنا القول في هذه المسألة تفصيلا في الجزء الاول وما بعده من مجلد المنار التاسع وفيه ان الغناء قد يحرم حرمة عارضة ويكره الاستكثار منه ولكن الاصل فيه الاباحة . ويستحب في الزفاف والعيد وعند قدوم المسافر كما بيناه هنالك فلا هو فسق ولا كفر ولا نفاق

الخطبة بالالحان والسنة فيها

روى مسلم وابن ماجه عن جابر رضي الله عنه انه قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم » الحديث فهذه هي السنة في كيفية اداء الخطبة وهذا

ما يرجى به التأثير والاتعاظ بها التي شرعت لاجله، وكل اداء يخالفه فهو مكروه وأشده كراهة تكلف الالحان والنغمات فيها كما يفعله بعض الترك وغيرهم، واذا قيل بحرمة هذه الالحان والنغمات الموسيقية في الخطبة لم يكن بعيداً لانه على مخالفته للسنة الصحيحة تشبه بالكفار في خطبهم الدينية وعبادتهم ولو من بعض الوجوه فان لم يكن تشبها لاشتراط القصد في معنى التشبه كان تركا لما امرنا به من مخالفتهم في أمثال هذه الامور، ولما امر النبي ( ص ) بصيام عاشوراء وقيل له ان اليهود تصومه امر بمخالفتهم بصيام يوم قبله او بعده، ولأنه مفوت لحكمة الدين في الخطبة وهو الزجر المؤثر في القلوب، والوعظ الذي يزع النفوس، وهذه النغمات من اللهو الذي ترتاح اليه النفوس وتستلذه، وترويح النفوس بالمباح غير محظور ولكن الخطبة لم تشرع له، والمساجد لم تبن لاجله. وقد صارت الخطبة في أكثر البلاد الاسلامية رسوما تقليدية مؤلفة من أسجاع متكلفة كسجع الكهان، وتؤدى بنغمات موقعة كنغمات القسوس والرهبان، وقد قارب السنة فيها بعض الخطباء المصريين والسوريين، ولم أر خطيبا ذكرني خطبة النبي صلى الله عليه وسلم الا مرة واحدة. زارني سيد عراقي مثل لي تحريض العرب على القتال بخطبة تضطرب لها القلوب، وتثير كوامن الحمية والنجدة من قرارات النفوس.

تلاوة القرآن بالالحان

قال صلى الله عليه وسلم « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » رواه البخاري عن أبي هريرة واحمد وابو داود وابن حبان والحاكم عن سعد، وابو داود عن أبي لبابة بن عبد المنذر والحاكم عن ابن عباس وعائشة. وروى الحاكم من حديث البراء بن عازب وصححه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال« زينوا القرآن بأصواتكم فان الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا »

وقد ذهب بعض العلماء الى ان التغني بالقرآن معناه الاستغناء به عن غيره وهذا غير صحيح بدليل حديث أبي هريرة المتفق عليه في الصحيحين ومسند احمد وسنن أبي داود والنسائي « ماأذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن » فأي لملاءمة للاستغناء بحسن الصوت. ودليل قول أبي موسى الاشعري للنبي (ص) لما أخبره انه استمع ليلة لقراءته « لو كنت أعلم انك تسمعه لحبرته لك تحبيرا »

على ان علماء السلف قد اختلفوا في هذه المسألة فأنكر قراءة الالحان بعضهم وعرفها آخرون. وقد أورد حجج الفريقين ابن القيم في ( زاد المعاد ) وجمع بينها

بأن المنكر هو تكلف الالحان الموسيقية ، والتطريبات غير الطبيعية ، والمعروف هو ما اقتضته الطبيعة من التطريب والتحزين والتشويق الى مايشوق اليه ، والتنفير مما ينفر منه ، وهـذا هو الصواب الذي يتفق مع حكمة الشرع ومقصد الدين اعني الاهتداء بالقرآن وتدبره والاتعاظ به . ومن شاء التفصيل في ذلك فليراجع كتاب زاد المعاد ، وربما ننقله في فرصة أخرى ، اذا اقتضته الذكرى

ترتيل القرآن

الترتيل من الرتل ( بالتحريك ) وهو انتظام الشيء واتساقه وحسن تنضيده يقال ثغر رتل ومرتل اذا كانت الاسنان حسنة النظام والتنضيد . فترتيل القرآن عبارة عن تجويد قراءته وارساله من الفم بالسهولة والتمكث وحسن البيان ، « لا تحرك به لسانك لتعجل به » « وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث » والغرض من الترتيل الذي ينافي العجلة ويقتضي المكث والتأني هو ان يفهمه السامع كالقارئ وتمكن كل منهما من تدبره وفهمه ، ويصل تأثيره الى أعماق قلبه ، وحسن الصوت أقدر على اتقان الترتيل ، وفصيح اللسان أملك لحسن البيان والتجويد ، وأجدر بقوة الافهام والتأثير ، وانما كرهت النغمات المتكلفة ، والالحان المتعملة ، لانها تشغل القارئ والسامع بالصوت والصناعة فيه ، عن تدبر الكلام والاتعاظ به ، فالفرق بين التغني المحمود والتغني المذموم ، والتلحين المعروف والتلحين المنكر . هو ان المحمود المعروف مايشغل نفسك بالفهم والتدبر والاتعاظ والتأثر ، والمذموم المنكر مايشغلها بالصوت ، واتقان الصناعة في اللفظ ، والله أعلم وأحكم ***

## ﴿ اموال الشركات الاجنبية في بلادنا وحقوق المعاهدين ﴾

( س ٦ ) من محمد جمال افندي سبط القوادري بدمشق الشام

سؤال موجه الى العالم العامل والمحقق الكامل منار الفضل والعرفان الشيخ رشيد افندي رضى حرسه الله وحفظه آمين

ماقولكم يا سادتي دام مجدكم في مس حقوق الشركات الاجنبية وارباب الامتيازات المعطاة لهم من الخليفة الاعظم هل هم معاهدون مستأمنون مصونو الحقوق ام حربيون ؟ وهل يجوز الشرع لاحدهم هضم حقوقهم بدعوى أنهم دخلوا بلادنا واخذوا الامتيازات من حكومتنا قهرا وان كان بالصورة الظاهرة بأمان ورضا افيدونا الجواب ولكم الشكر والثواب

( ج ) ان احترام الأجانب المعاهدين او المستأمنين واحترام أموالهم وحرمة

التعدي عليهم او عليها من المسائل المجمع عليها بين المسلمين المعلومة من الدين بالضرورة فليست مما يسئل عنه او يستفتى فيه لولا تأويل المضلين . وقد كتب الينا هذا السائل الفاضل كتابا خاصا يعتذر فيه عن سؤاله هذا ويبين سببه وهو ان شيخا من شيوخ الدجل معروفا بمخادعة العامة واستمالتهم اليه بذم النصارى والتنفير منهم وتلفيق كتب الاوراد والصلوات والكرامات قد أفتى من يظنون أنه من أهل العلم والتقوى بأن أموال الاجانب الذين في بلادنا مباحة للمسلمين فيجوز لمن قدر على أكل مال شركة الترام اوسكة الحديد او غيرهما من الشركات الاجنبية أو الافراد ان يأكل ما استطاع أكله سواء كان مستخدما فيها او غير مستخدم . ويتأول الحكم الشرعي المجمع عليه بأن هؤلاء الاجانب معاهدون او مستأمنون في الظاهر ولكنهم حربيون في الواقع لأنهم أخذوا الامتيازات بهذه الشركات من حكومتنا بالجبر والا كراه ، لا بالرضى والاختيار . وهذا هو باطل التأويل ، ومحض الكذب وقول الزور ، فالامتيازات أخذت باختيار الدولة والسلطان الذي كان يقدسه مفتي الاباحة ويضلل مطالبيه بالاصلاح أو يكفرهم ، والمعاهدات بين دولتنا ودول اصحاب هذه الشركات لاشك فيها ، والا كانوا محاربين ، ولا حرب بيننا وبين احد منهم ( الا الايطاليين الآن ) والمصلحة في هذه المعاهدات لنا ظاهرة ، واذا نقض بعضهم شيئا من شروط العهد فليس لاحد من افراد الرعية أن يعده محاربا ويستحل ماله ودمه ، وانما ذلك حق السلطان وأولي الامر ، ولولا ذلك لم يستقم لنظام ولم تثبت مصلحة ، ولو كان شرعنا العادل يبيح مثل هذا لما وثقت دولة من دول الارض بمودتنا وأماننا ، ولكانت معذورة في الاتحاد على استئصالنا ،

سبحان الله ! جعل الشارع ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم ، ولعن من أخفر ذمتهم ، كما ورد في حديث علي كرم الله وجهه في الصحيحين والمسند وكتب السنن الثلاثة وغيرها ومن حديث غيره أيضا . ومعنى « يسعى بها أدناهم » أن العبد والاجير من المسلمين اذا أمّن بعض الحربيين وجب على كل مسلم أن يحترم امانه ويحرم عليه ان يتعدى على من أمنه أو يؤذيه في نفسه او ماله . وقال الحافظ ابن المنذر اجمع أهل العلم على جواز أمان المرأة الا شيئاً ذكره عبد الملك بن الماجشون صاحب مالك قال أن أمر الامان الى الامام ( الخليفة ) ورد قوله بالحديث ، واشترط ابو حنيفة في العبد ان يكون مقاتلا ليصح تأمينه . واما تأمين آحاد الصناع والزراع فلا خلاف فيه ، ولكن دجال سورية ومفتي الاباحة فيها لايعتد بتأمين السلطان نفسه ولا بعهده وعبده دولته بل يبيح السرقة والخيانة في الاسلام ، وهما لا يباحان في حال من الاحوال ،

## ﴿ الدخول في الماسونية ﴾

( س ٧ ) من السيد احمد بن يوسف الزواوي في ( مسقط )

غب اهداء مراسم السلام ، والتحية والاحترام ، لحضرة الماجد الهمام ، والاستاذ الامام ، السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار المنير ، نهرع الى بابه ، ونلتمس من سماحة جنابه ، كشف مايحوك في صدورنا عن هذه الجمعية ، المدعوة بالماسونية ، فقد تضاربت فيها الاقوال ، واستحكمت حلقات الجدال وفشى الخلف في شأنها بين العلماء الاعلام ، فمن مادح وذام ، ومبيح الانتظام ، ومفت بانه حرام ، الا انا نرى القائلين بالحظر يكيلون جزافا ، ويقتضون اقتضاء على حيز استنادالمبيحين الى أصل الحل ، ولما كان الناس لايقتنون الاعجوابكم المؤيد بالحجة المتكئ على البراهين ، تممناكم ولنا وطيد الامل واكبر الرجاء بأن تتحفوا غلتنا بالجواب الشافي الذيول ، الكاشف عن موضوع تلك الجمعية وبروغرامها نقاب الخفاء ، حتى نقدم راسين الرؤس على الانتظام في سلكها ، أونرفضها رفض السقب غرسه ونحمل النفوس على تركها ، ولاشك ان يكون كلامكم فصل الخطاب وحاسم النزاع .

( ج ) قد بينا من قبل أن هذه الجمعية سياسية أنشئت في أوربة لازالة استبداد الملوك وسلطة الباباوات وفصل السياسة من الدين بأن يكون التشريع من حقوق الامة غير مقيدة فيه بدين ، وقد فعلت في أوربة فعلها وأدت وظيفتها . والذين ينشرونها في الشرق لهم اهواء مختلفة ، ومنافع متعددة ، والرياسة العامة التي يرجعون اليها أوربية ، وإذ قد عرفتم حقيقتها وغرضها ، فقد عرفتم حكم الدخول فيها ، وما سبب اختلاف الاقوال في حكم الانتظام في سلكها ، الا اختلاف العلم بحقيقتها ، ولا يتسنى لاهل بلادكم ان يعرفوا هذه الحقيقة لان الذين يدعونهم اليها لايبينونها لهم ، وانما يرغبونهم فيها ترغيبا اجماليا ويعدونهم بكشف الاستار عن الاسرار ، بعد الترقي في الدرجات ، ولم يقرءوا ما كتب فيها دعاتها وناشروها من المدائح ، وما يلطخها به خصماؤها ـ ولا سيما رجال الدين ـ من الفضائح ، ورب مدح يمدحها به قوم يراه آخرون ذما ، وقد نشرها الافرنج واعوانهم المتفرنجون في مصر والمدن العثمانية منذ عشرات من السنين فلم يكن لها من ثمرة الا اعداد النفوس لفصل السياسة والحكومة من الدين ، والاستغناء عن الشرع بالقوانين ، والمؤاخاة بين المسلمين وغيرهم ، ومؤالاتهم لهم ، ولعله تبين لكم بهذا الشرح ، كنه ما يغرونكم به من النعم ، كما عرفتم ما يحكم به الشرع ، وعسى ان يزيل ما بينكم من الخلاف ، الذي هو أول ثمراتها في تلك البلاد

# المسألة الشرقية

( سلسلة مقالات لنا نشرنا ستا منها في المجلد الرابع عشر )

## ٧

## ﴿ الجهاد في الاسلام ﴾

يقع الخلاف والنزاع والعداء بين البشر بسوء الفهم أكثر مما يقع بسوء القصد، وأعم أسباب سوء الفهم والتفاهم اختلاف المواضعة والاصطلاح : يطلق زيد القول بمعنى فيفهمه عمرو بمعنى آخر فيؤاخذ زيداً عليه ، ويرى زيد ان قوله لا يقتضي المؤاخذة وهو مصيب في هذا الرأي ، وان عمراً ما آخذه عليه الا لسوء أرادهبه ، ونية رديئة أضمرها له؛ والا لم يؤاخذه على الصواب ، وهو مخطئ في هذا الرأي لأن عمراً انما آخذه لانه فهم من قوله ما لم يرد هو به

واختلاف المواضعة والاصطلاح الذي قلنا انه أعم وأكثر أسباب سوء الفهم له مناشئ متعددة ، فان اللفظ الواحد يكون له معنى أو عدة معان في أصل اللغة ، ومعنى آخر في اصطلاح الشرع ، ومعنى آخر أو أكثر في اصطلاح بعض العلوم والفنون ، ومعنى آخر في العرف العام ، ومعنى آخر في العرف الخاص ببلد من البلاد أو طائفة من الطوائف كالكتاب أو الفقهاء مثلا. وقد قال علماؤنا « لا مشاحة في الاصطلاح » وهذه الكلمة تجري دائما على ألسنتنا وأقلامنا ولكن لا يكاد يعامل بها أحد منا غيره . فنحن في مشاحات وملاحاة لا تنقضي . وقد يكون المرء منا معذوراً بجهله باصطلاح الآخر وقد يكون غير معذور ولكن البيان هو الذي يقطع التعلات والاعذار

من الالفاظ التي من هذا القبيل لفظ « الجهاد » في الاسلام والظاهر لنا ان بعض النصارى يفهمون ان المراد به اتفاق المسلمين كافة على قتال أو قتل كل من ليس بمسلم سواء كان محاربا لهم أم لا. وهذا المعنى ليس مدلولا له في اللغة العربية ولا في عرف القرآن والسنة ولا في اصطلاح الفقهاء، وربما سرى فهمهم هذا الى بعض المسلمين

الذين يجهلون اللغة والشرع ويأخذون المسائل الدينية من المعاشرين لهم وان لم يكونوا من أهل دينهم وكذا من جرائدهم

ومنهم من يتهم من الجهاد القتال باسم الدين أو لاجل الدين ويقسمون الحرب الى دينية ومدنية ويفرقون بينهما بالتسمية واطلاق لفظ الجهاد على الحرب الدينية فقط ويخصونها بالذم والتشنيع والتنفير . كأنهم الحرب التي يسمونها مدنية من طرق الكسب والتجارة المحمودة ، ويرون انه لاحرج على من يحارب قوما يستضعفهم ليزيل استقلالهم ويجعلهم كالعبيد المسخرين لابناء جلدته

نشر أحمد لطفي بك السيد مدير (الجريدة) مقالا قبلا ذكر فيه ان الحركة الحاضرة بمصر الموجهة لاعانة الدولة العثمانية على حرب ايطالية قد ظهرت بشكل الجهاد الديني أو الدعوة الى الجهاد الديني وان هذا خطأ ضار بمصر . فساءقوله هذا جميع من ذكره أمامي من المسلمين ، وسر جميع من ذكره من النصارى . وما رأيت الكتاب والباحثين في السياسة من هؤلاء حمدوا لمدير هذه الجريدة غير هذا المقال . وقد اجتمعت في بعض السمار بطائفة منهم وخضنا في هذه المسألة وكان مما ذكرته أن الجهاد ليس بالمعنى الذي يفهمونه ولا أدري أي معنى قصد بهمدير الجريدة ولكنني أجزم بأن اتهام المصريين بالتألب على النصارى كافة والدعوة الى قتالهم باطل، ويمكنني أن أحلف على أني لا أعرف أحدا من المسلمين على هذا الرأي ولا سمعت الدعوة اليه ولا استحسانه بل ولا ذكره من أحد منهم . ثم ذكرت معنى الجهاد في اللغة والقرآن ، وورود ذكره في كتب النصارى ، فاقترح عليّ بعضهم أن أكتبه وأنشره في المؤيد فقبلت الاقتراح ولم أتم ما بدأت بشرحه في السامر

الجهاد والمجاهدة مصدر جاهد وهو بناء مشاركة من مادة الجهد أي التعب والمشقة « ومن هذه المادة الاجتهاد أيضا » وصيغة المشاركة تشعر بأن الجهاد عبارة عن احتمال الجهد والمشقة في مقاومة خصم أو عدو ، فلا يدخل في معناه حرب من لا يحارب وقتل من لا يقاتل إذ لا مشاركة في ذلك .

قال الراغب في مفرداته التي شرح بها غريب القرآن أدق الشرح ما نصه :

«الجهاد والمجاهدة استفراغ الوسع في مدافعة العدو (تأمل قوله مدافعة) والجهاد ثلاثة أضرب : مجاهدة العدو الظاهر ومجاهدة الشيطان ومجاهدة النفس ، وتدخل ثلاثتها في قوله تعالى « ٢٢ : ٧٨ وجاهدوا في الله حق جهاده ـ ٩ : ٤٠ وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ـ ٨ : ٧٢ ان الذين آمنوا وهاجروا

وجهدوا في سبيل الله » وقال صلى الله عليه وسلم « جاهدوا اهواءكم كما تجاهدون أعداءكم » المجاهدة تكون باليد واللسان قال ص « جاهدوا الكفار بأيديكم وألسنتكم » اه كلام الراغب ولا أذكر من أخرج هذين الحديثين ولكن روى الامام أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم عن أنس أن النبي ( ص ) قال « وجاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم » وقد ذكر لفظ الجهاد في القرآن بمعنى المغالبة والمكابدة في مواضع لا تحتمل معنى الحرب كقوله تعالى (وان جاهداك على أن تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا ) يعني الوالدين . وأكثر أحكام الحرب ذكرت في القرآن بلفظ القتال لأن لفظ الجهاد ليس نصا في معنى الحرب والقتال ، ولم تذكر مادة الحرب فيه الا قليلا ولم تسند الى المسلمين . وكل ماورد في أحكام القتال في القرآن كان المراد به مدافعة الاعداء الذين يحاربون المسلمين لاحل دينهم منها ما هو صريح في ذلك كقوله تعالى في سورة الحج وهو أول ما نزل في القتال ( ٢٢ : ٣٩ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ٤٠ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ) وقوله في سورة التوبة وهي آخر ما نزل في أحكام القتال ( ٩ : ١٤ ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة ) قوله أيمانهم بفتح الهمزة ومعناه عهودهم ، وذلك كالمعاهدات الآن بين الدول المتعاهدة وقد نكثت العهد وبدأت بالقتال . ونزل قبل هاتين الآيتين آية البقرة (٢ : ١٨٩ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين )

وماليس بصريح مثل هذه الآية يمكن أن يحمل عليه بقرينة الحال فان النبي صلى الله عليه وسلم كان مع من حوله في حرب هم المعتدون فيها وكان يعاهد كل من يقبل معاهدته على ترك الحرب مهما تقبل احتمال الشروط ، وما عاهده أحد من المشركين أو اليهود الا من علم منهم بأنهم أضعف من المسلمين ثم هم الذين كانوا ينكثون عند مايشعرون بقدرة ، ويصادفون غرة ، كما فعلت اليهود غير مرة ، وكما فعلت قريش بعد صلح الحديبية

ويحمل على ذلك أيضاً ماورد من النهي عن اتخاذ الكفار أولياء والالقاء اليهم بالمودة سواء ورد ذلك في المشركين وأهل الكتاب أو عاما كما صرح بذلك في سورة الممتحنة فقد قال تعالى في أولها ٦٠ : ١ ( ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون

الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ) أي يخرجونكم من وطنكم مكة ويطردونكم منها بسبب انكم آمنتم بالله ربكم ، فهذه علة أولى للنهي عن ولايتهم أي نصرتهم وعن مودتهم ، والعلة الثانية بينها في الآية الثانية فقال ( ٢ ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون )

ثم قال بعد آيات ( ٨ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ٩ انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ) فلم يكتف بنفي النهي عن موالاة ومودة غير المقاتلين لنا لاجل ديننا بل أكد لنا حصر النهي في أولئك المقاتلين المعتدين ، وحصر الوعيد فيمن يتولاهم ، فان كلمة « انما » للحصر وجملة « فأولئك هم الظالمون » تفيد الحصر أيضاً

هذه جملة أحكام القتال في القرآن المتفقة مع ما تلون وهي في منتهى العدل والحكمة ، وبينا أن لفظ الجهاد فيه ليس مرادفاً لحرب والقتال ولكن الفقهاء اصطلحوا على تسمية القتال جهاداً وهذا لفظ العفو وأخف من لفظ القتال ولفظ الحرب لان معناه يتحقق بمثل الجهد في مقاومة لا يقتل فيها أحد أحداً ، والقتال ليس كذلك إذ لا يتحقق معناه إلا بسفك الدم

كل هذا واضح وضوح الشمس في رابعة النهار وقد زال من دونها كل سحاب ، فمن أين صار لفظ الجهاد الاسلامي هو المخيف الدال على الظلم والبغي والوحشية وذبح الابرياء من أهل السلم والولاء ؟ أليس هذا من تعصب غير المسلمين على المسلمين بتشويه محاسن دينهم وتحريف آياته عن مواضعها ، وقلب معانيها وتغيير أوضاعها ، أو من الجهل بها على الاقل

هذا وان لغير المسلمين مع المسلمين أربع حالات ينقسمون بها إلى أربعة أقسام (١) أهل الذمة وهؤلاء يساويهم الاسلام بأهله في الحقوق ويوجب حمايتهم والدفاع عنهم إذا اعتدي عليهم وسد ضروراتهم فاذا وجد فيهم من لا يقدر على قوته كفوه أمره وكذا غير القوت من الضروريات (٢) أهل عهد وميثاق كجميع الدول الآن بعضها مع بعض ماعدا إيطالية مع دولتنا فهؤلاء تجب مسالمتهم والوفاء لهم بعهدهم كما هو ، حتى إنه إذا حاربهم بعض المسلمين غير الداخلين في جماعتنا العامة التي عاهدتهم واستنصرونا لا ننصرهم كما في الصورة التي بينها الله تعالى في أواخر سورة الانفال

بقوله ( ٨ : ٧٢ والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا، وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير ) .

( ٣ ) أهل أمان وهم الذين يكونون أو يدخلون في بلادنا من المحاربين لنا بالامان على أنهم لا يعتدون على أحد ولا يعتدي عليهم أحد ويسمون المستأمنين ويجب الوفاء لهم بالامان

( ٤ ) أهل حرب أو محاربون وأحكامهم طويلة وكل ماثبت منها في الكتاب والسنة فهو مبني على قواعد العدل والرحمة . ومنه أن لا يقاتل إلا من باشر القتال فيمتنع قتال الشيوخ والولدان والنساء ورجال الدين المنقطعين للعبادة

ومما ورد في ذلك الآية التي أساء في تفسيرها لورد كروم وكأنه تبع في ذلك بعض القسوس أو السياسيين الذين يحرفون الكلم عن مواضعه عمداً ، تعصباً منهم وبغياً ، وهي قوله تعالى ( ٤٧ : ٤ فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما مناً بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها . ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض ) فهذه الآية من آيات الرفق والرحمة في الحرب والمسلمون متفقون على أن المراد بقوله تعالى « فإذا لقيتم الذين كفروا » فإذا لقيتموهم في المحاربة وحاصل معنى الآية انكم تقاتلون من تقدرون على قتله الى أن تظهروا عليهم بالاثخان فيهم فعند ذلك اتركوا القتل ، واكتفوا بالاسر ، وأنتم مخيرون بعد ذلك بين ان تمنوا على الاسرى باطلاقهم فضلا واحسانا ، وبين أن تأخذوا منهم فداءاً . هكذا يكون شأنكم حتى تضع الحرب أوزارها أي أثقالها أو آثامها . قال « ولو يشاء الله لانتصر منكم » فأمركم بعد الظهور عليهم والاثخان بقتلهم واستئصالهم ولكنه لم يأمركم بذلك بل أمركم بجعل القتل على قدر الضرورة وهو أن تأمنوا شرهم بالظهور عليهم « ليبلو بعضكم ببعض » أي ليختبر بعضكم ويجربه بمعاملة الآخر بما يخالف هواه ويوافق المصلحة، ويتفق مع العدل والرحمة ، بجعل الحرب ضرورة تقدر بقدرها . هذا هو معنى الآية التي يشوهون بها جهاد الاسلام، وهي شرف يفتخر به بين منصفي الانام

إذا محاسني اللاتي أدل بها * كانت ذنوبي فقل لي كيف أعتذر

ثم ان المقال تزاد على ما قدرت له ويمكنني أن أؤلف في هذه المسألة كتاباً حافلا

يفتخر به كل مسلم ، ويخذل به كل متعصب سيء النية والقصد ، وحسبك من القلادة ما زين النحر .

فاذا كان هذا هو الجهاد والقتال في الاسلام وكان كل مخالفة من حروب ملوك المسلمين خروجا عن هدي الدين في حروب كلها مدنية لم تقصد بها حماية دعوة الاسلام اذ تركوا الدعوة بعد عصر السلف فلماذا تقوم القيامة على المسلمين كلهم اذا ذكر واحد منهم لفظ الجهاد أو حرفاً مما اشتق منه ، ويعد هذا خطراً على النصارى أصحاب الدول الحربية القوية التي تحميهم وتنتصر لهم أينما كانوا ولو ظالمين ؟ ولماذا يحرض غير المسلمين بعضهم بعضاً على سلب ملك المسلمين والتنكيل بهم ، ويعدون ذلك بالفعل ولا يعدونه إثماً ولا حرجا ، وانما ينحصر الاثم والحرج في الشكوى منهم حتى صار المسلمون أنفسهم يحجر بعضهم على بعض أمثال هذه الالفاظ التي لا ضرر فيها ولا ضرار ، ولا تدل على جواز ذرة من الظلم والعدوان ؟

لو كان في كتابنا الالهي من القسوة في أحكام الحرب مثل ما في التوراة التي في أيدي أهل الكتاب لما كتمناه ولما تبرأنا منه كقوله في سفر تثنية الاشتراع ( ٢٠ : ١٦ وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منهم نسمة ما ) بل يوجد في أناجيلهم من النصوص القاسية ما لا يوجد في القرآن مثله كرواية لوقا عن المسيح عليه السلام في الفصل التاسع عشر ونصها ( ٢٧ أما أعدائي الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم الى هنا واذبحوهم قدامي » ولفظ الجهاد الممقوت عند القوم ومقلديهم لانهم يعدونه اسلامياً يوجد أيضاً في كتبهم كقول مقدسهم بولس ( ٢ تيم ٢ : ٥ لاينال أحد الاكاليل الا ويجاهد جهاداً شرعياً ) وقوله ( ١ تيم ٦ : ١٢ جاهد جهاد الايمان الحسن وأمسك بالحياة الابدية التي اليها دعيت ) يقولون ان المراد بهذا جهاد النفس والشيطان ، ونحن قد قال علماؤنا مثل هذا في جهاد القرآن كما تقدم ، وكان سلفنا يسمون جهاد النفس الجهاد الاكبر ، وجهاد العدو الجهاد الاصغر ، وروي هذا عن الصحابة رضي الله عنهم

اني أختم مقالي هذا بذكر شيء مما قال فينا ، وما يحرض به علينا ، وأعيذ المسلمين منذ وجدوا الى اليوم والى آخر الزمان من مثل ذلك

جاء في العدد ٨٤٣ من جريدة ( وقت ) الروسية التي صدرت في ١٨ سبتمبر ( أيلول ) بالحساب الشرقي ما ترجمته :

جاء في برقية من بودابست ان فمبري المستشرق المشهور كتب مقالة في جريدة

( بوداپست هيرلاب ) قال فيها ان حماية الاسلام يعد الآن خطأ لا يفيد فائدة ما ، وهو سيفنى البتة ولا يستحق غير الافناء ، المدنية توجب أن تنقرض من ممالك الاسلام عدوة المدنية . المسلمون قوم لا طبيعة لهم ولا يعرفون كلمة الطبيعة ، هم يعملون ولكن لا يعملون ، ولا شيء فيهم من الحياة غير شعورهم الديني ، وليس لهم مسلك ( مبدأ ) ولا مقصد . ولا ينبغي أن تهتم حد الاهتمام بدستور تركية فان حالها الآن شر مما كانت عليه ، واحتمال حياة ثلاثمائة مليون مسلم خيال باطل لا شائبة لحقيقة فيه اه

وقد تعجبت جريدة وقت من قول غيري هذا لانه مشهور بمحبة الترك والمسلمين وقالت أنه يجب التأمل فيه ، ونحن نقول اذا كان هذا قول من يحسبنا منهم فهل يقول أحد من المتهمين منا بالتعصب وبغض الاغيار مثله أو قريبا منه

يقولون يجب اعدام هؤلاء الملايين من المسلمين باسم المدنية وفي روسية ملايين من النصارى هم أبعد عن المدنية من مسلميها ومسلمي العثمانيين فلماذا يجب خير البقاء ؟ اذا كان مثال المدنية ما فعلته إيطالية بطرابلس فالصلاة والسلام على التوحش والهمجية

بل قال بعض أساطين السياسة مثل كلام هذا المستشرق أو أشد ، منهم الاستاذ مكميليان هاردن صاحب جريدة ( دي سكنفت ) النمسوية قال في خطبة له أرسل ملخصها مكاتب التيمس في فينا الى جريدته فنشرت فيها « انه لا توجد دولة تقدر أن تساعد الحركة الحاصرة التي تسوق الاسلام الى الوراء . ثم قال ان الاسلام دين خطر وبقاؤه خطر واني على رأيي ان كل ولاية أخذت من الاسلام هي غنيمة للدول الاوروبية »

هكذا يقولون جهرا في خطبهم وجرائدهم ولا نزال نغش أنفسنا بقول الذين يسخرون منا من الافرنج والمتفرنجين بزعمهم ان هذه الحرب لا علاقة لها بالدين ولا يقصد بها المسلمون لاجل دينهم

يقولون المنكر ويفعلونه ويمدحون أنفسهم عليه ، ونقول الحق فنلام عليه ونهدد . ولا ندري ماذا بقي عندهم من التهديد فنخافه ، أولئك عبيد القوة القاهرة ولو أننا أقوياء لما سموا حقنا باطلا ، بل كانوا يسمون ما ربما تدفعنا اليه القوة من الباطل عين الحق ولباب القضية ، والاسلام نفسه هو المظلوم المهضوم بيننا وبينهم ، نحن تركنا هدايته وجنينا عليه ، وهم جعلونا حجة عليه ، حتى أقنعوا أبناءنا الذين تولوا تربيتهم المادية الشهوانية وتعليمهم الفاسد في مدارسنا ومدارسهم بأن يلصقوا ذنوبهم بالاسلام ويصدون عنه على علم أو جهل

اذا عوقب جناة النصارى أو نهضت عصاباتهم الثورية في مكدونية قامت أوروبة لهم وقعدت، وأرعدت وأزبدت، واذا أظهرنا تألماً من تدمير مداميم لبلادنا، وحصدها لاخواننا، نلمس على تعصبنا، فالى متى يبغي الاقوياء، ويخدع الاغبياء، ربنا افصل بيننا بالحق وأنت خير الفاصلين

في ٢ ذي القعدة سنة ١٣٢٩

## ٩

## ﴿ ما يجب من اعانة الدولة العلية بانجاد طرابلس الغرب ﴾

سيرت دولة ايطاليسة أساطيلها كلها وحيشاً عرمرما من جنودها المنظمة الى طرابلس الغرب، لمحاربتها في البر والبحر، والاستيلاء عليها بالبغي والقهر، وإلباسها لباس الخوف والجوع، وأهانت الدولة العلية صاحبة ذلك القطر بمساومتها في بيعها وحملها بالتهديد والوعيد على الادعان لاحتلال الجيش الايطالي فيها

طمعت دولة ايطالية المغرورة في تلك البلاد لاهمال دولتها أمرها، وتقصيرها في إقامة المعاقل والحصون في ثغورها، ووضع الحامية القوية فيها، وبث الالغام وأنابيب التدمير في بحرها، فنفثت عليها أساطيلها وجنودها، وصبت عليها جحيم قهرها، وقطعت عنها موارد الرزق، في اموال وتجارة وخطط، فأصبح أهل تلك البلاد يحاربون دولة عاتية، باغية قاسية، لا ترحم امرءاً ضعيفا ولا شيخا كبيرا، ولا طفلا صغيرا، ويصارعون جوعا ديقوعا، ويصابرون وباء مريعا، فهم أحق خلق الله بعطف الكرماء، ورحمة الرحماء، واعانة الواجدين، واغاثة القادرين

نعم ان الدولة العثمانية هي صاحبة هذه البلاد المرزوءة بقسوة الطامعين، وهي التي يجب عليها اغاثتها وإمدادها قبل كل أحد، ولكن حيل بينها وبين انجادها ان ارادته، فلا أسطول قوي تنجدها به بحراً، ولا أوروبة تمكنها من انجادها براً، واذ كانت الدولة عاجزة عن القيام بهذا الواجب انتقل الوجوب الى من قدر عليه، وأقدر الناس عليه أهل مصر فصار متحتماً عليهم بحق الجوامع الست التي تتعاطف بها الجمعيات البشرية لا بجامعة واحدة منها، ولنبين هذه الجوامع الست وشداً بالاعم منها فنقول

### ( الجامعة الاولى الانسانية )

خلق الناس ليعيشوا بالتعاون فهو معيار ارتقائهم، وميزان مدنيتهم، فكلما عم كانت المدنية أتم، والارتقاء أشمل، و « خير الناس أنفعهم للناس » كما ورد،

والتعاون أسباب أعمها التعارف ، وقد قال تعالى « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » وان سهولة طرق المواصلة وتعدد وسائلها زاد في تعارف الناس وتعاونهم ، فلا تقع الآن نكبة كبيرة في قطر من الاقطار إلا ويسارع أهل الاقطار الأخرى الى اعانة أهله وتخفيف مصيبتهم ، ومن الشواهد القريبة العهد على ذلك عطف المصريين على الايطاليين الذين نكبوا بالزلازل والبراكين في صقلية ومسيني ( ١ ) فقد نظمت في ذلك القصائد العربية المؤثرة ، وجمعت الاعانات المالية ، وأرسلت الى الحكومة الايطالية

لو حكمنا العقل المجرد من الهوى في أحق الناس أن تبذل لهم المعونة ، وتمد اليهم سواعد المساعدة ، آلذين نكبوا بالجوائح الطبيعية ، أم الذين نكبوا بظلم اخوانهم البشر لهم ، وقهرهم اياهم ، واعتدائهم على حريتهم واستقلالهم ؟ لحكم حكما عادلا بأن هؤلاء المظلومين أحق بالمعونة ، وأجدر بالمساعدة ، ولرأينا من أسباب هذا الحكم ( حيثياته ) أن مساعدة الظالم وإعانته على ظلمه أكبر جريمة للانسانية وأعظم نعماً ببشر ، لان فيه [illegible] كفه عن ظلمه ومؤاخذته عليه ، وبذلك يقل الظلم والعدوان بين الناس حتى يكونوا اخوة في الانسانية ، وفي هذا المعنى قال صلى الله عليه وسلم « انصر أخاك ظالما أو مظلوما ان يك ظالماً فاردده عن ظلمه ، وان يك مظلوما فانصره » رواه بهذا اللفظ الدارمي وابن عساكر عن جابر . وفي رواية أحمد والبخاري والترمذي عن أنس أنه قال « انصر أخاك ظالماً أو مظلوما » فسئل قبل اتمام الحديث كيف أنصره ظالماً ؟ قال « تحجزه عن الظلم فان ذلك نصره »

فحق هذه الجامعة يجب على كل انسان يؤثر حب الانسانية على العصبية المفرقة والهوى والطمع المفسدين للاخلاق أن يساعد أهل طرابلس ودوائهم ، على كف ظلم إيطالية وبغيها عنهم ، أو على تخفيف مصيبتهم على الاقل ، ولولا المطامع ، والمبادلة والمعاوضة في المنافع ، لما أقرت أوربة هذه الدولة على بغيها وظلمها ، مع اعتراف المنصفين من جميع شعوبها ببغيها وطغيانها ، وانه ليوجد في كل شعب أوروبي كثيرون من أهل

(١) هكذا ضبطها العرب أيام استعمارهم لها ومن ذلك قول شاعرهم فيها * من دا يعدي على مسيني * ويقولون الآن مسينا تبعا للافرنج

الانصاف وحب الانسانية ولولا ان حكوماتها وحرائدهم تخادعهم لما كانوا يسكتون عن الانتصار لامثال هؤلاء المظلومين ، على أنه وجد في انكلترا كثيرون قد عرضوا أنفسهم على السفارة العثمانية للتطوع في جيشها الذي يحارب ايطالية ، ومع هذا نرى فينا من ينكر مثل ذلك منا نحن المشاركين لاهل طرابلس في الجوامع الست كلها

## ( الجامعة الثانية الشرقية )

الناس كلهم اخوة في الانسانية والاخوة قد يختلفون على المنافع ، ويغلب طمع القوي منهم على ما تطالبه به الفطرة وعاطفة الاخوة من التسامح والايثار ، بل من العدل والانصاف ، فيتفرقون ويختصمون ، ويستعين بعضهم على بعض ؛ ويقع الخصام والعدوان بين الجماعات كما يقع بين الافراد ، وهذا هو السبب في تكوين عصبية الجامعات المختلفة فقد كانت وما زالت الشعوب والقبائل والامم والدول تتحالف وتتحالف ، وتتنازع وتتصارع ، والاصل في هذه عصبيات الاشتراك في الصفات والمقومات التي تقتضي التآلف ومقاومة المخالف فيها كالنسب والوطن والامة والحكومة والدين والعادات والآداب ، وكلما كان هذا الاشتراك أكثر كان التعاطف والتعاطف أعم وأشمل ، والمشتركون في النسب قد يخاصمون الغرباء عنهم من أبناء قومهم ووطنهم ودينهم ، وكذلك أهل الوطن والامة مع الغرباء عنهما المشاركين في غيرها مثلا ، وعلى هذا المنهج تصغر العصبيات وتكبر

كثر ما به الاشتراك بين أهل أوربة فهم مشتركون في الدين والعادات العامة ، والاحوال الاهلية والاجتماعية ، وطرق الكسب ، وفنون الحرب ، ونظام الحكومة ، وأكثر خواصهم يعرفون من لغاتهم الكبرى ما يتعاطون به مع الآخرين ، يقرؤن جرائدهم وكتبهم ، وينقل بعضهم عن بعض في كل يوم كل أمر ذي بال ، وينشرونه للجمهور في جرائدهم ، فيشعر كل شعب منهم عما يشعر به الشعب الآخر من مؤلم أو ملائم ، فهم بهذه الامور كلها عصبية واحدة على من يخالفهم فيها ، وقد اتحدوا بها على المخالفين فصار العالم كله ( أو ما يعبر عنه بالعالم القديم اذا استثنينا أميركة ) عصبيتين يعبر عن إحداهما بالغرب ويراد به أوربة الطامعة ، وعن الاخرى بالشرق ويراد به آسية وأفريقية المطموع فيهما . وكان الاولى أن يقال الجنوب والشمال مكان الشرق والغرب ولكن لا مشاحة في الاصطلاح كما يقال

يرى كثير من الكتاب والمؤرخين أن المراد بالشرق الاسلام وبالغرب النصرانية

ولكن المختبرين من علماء نصارى الشرق الذين عرفوا كنه سياسة أوربة ورأوا سيرتها في مستعمراتها يعلمون ان أوربة تحتقر جميع الشرقيين ولا تعد النصارى منهم أهلا لمساواة الاوربيين في شيء ، وان أية دولة من دولها تستولي على بلاد شرقية تحتقر جميع أهلها ، وتستعلي عليهم بعظمتها الجنسية ، لانها ترى أن الاوربي يجب أن يكون سائداً لانه أوربي ، وان الشرقي يجب أن يكون مسوداً لانه شرقي

لا يزال الشرق ضعيف التماسك جاهلا انه مضطهد من الغرب كله وانه يجب عليه التناصر لدفع سيل الغرب الأتي وعدوانه المخشي ، وقد رأينا الخيرين بكنه هاتين الجامعتين من شبان النصارى الاحرار في مصر وسورية يميلون كالمسلمين الى انتصار اليابان الوثنية ، على روسية النصرانية ، يوم وقعت الحرب بينهما ، فاذا مال هؤلاء الاذكياء الى ظفر طرابلس الغرب الشرقية المظلومة ، وانتصارها على إيطالية الغربية الظالمة ، فذلك أولى ، بل لا يكفي أن يميلوا ويعطفوا ، دون أن يساعدوا وينصروا ، فالاقربون أولى بالمعروف

## ( الجامعة العثمانية )

أهل الولايات العثمانية البحتة والممتازة والمحتلة في ادارتها مختلفون في الاجناس والاديان ، واللغات والعادات ، وليس في استطاعة أهل ولاية منها أن يكونوا دولة قوية تحمي نفسها من أوربة اذا صالت عليها بخيلها وأساطيلها . ومصر في ذلك كغيرها . فان كانت أغنى وأعلم ؛ فهي أضعف في الحرب وأعجز ، فمن مصلحة الجميع تأييد الجامعة العثمانية ، واصلاح حال الدولة العلية ، وهذا الاصلاح متوقف على شكل الحكومة الذي يعبرون عنه باللامركزية ، وهو ما ستصير الدولة اليه ، ولا بقاء لها بدونه ، اذا هي سلمت من كيد أوربة لها ، وحالت سياسة التنازع دون التعجيل عليها (سلمها الله تعالى وكفاها كيد الكائدين ) وحينئذ تكون الولايات العثمانية كالولايات الجرمانية أو الولايات المتحدة كل منها داخل في ادارتها الداخلية ومشتركة مع سائر الولايات في السياسة العامة وقوة الجيش والاسطول الخ

فعلى العثمانيين في جميع الولايات من جميع العناصر والملل أن يستمسكوا بعروة العثمانية ويبذلوا النفس والنفيس في حفظ كيانها ، وتأييد سلطانها ، والفرصة الآن سانحة فينبغي اغتنامها ، وما ذاك الا بمساعدة أهل طرابلس العثمانيين على حفظ أنفسهم وبلادهم وبقائهم عثمانيين مثلنا ، متصلين في ظل هذه الجامعة بنا ، وأخص غير المسلمين

من العثمانيين بتأييد هذه الجامعة ، واغتنام هذه الفرصة السانحة ، فانهم بذلك يوثقون عرى الاتحاد بينهم وبين اخوانهم في الوطن والعثمانية توثيقا لاتجهل فائدته

أين العقلاء الاذكياء من نصارى السوريين والقبط ومن اليهود ؟ أين الذين يقولون منهم انا نود أن نجعل الرابطة الوطنية أو السياسية أقوى في أمور الدنيا من الرابطة الدينية ، ألايعلمون أن ايجاد هذه الرابطة أو توثيقها وتقويتها من نتائج الاعمال، لا من نتائج الاقوال ، ان كتاب المقطم والاهرام في مصر وبعض كتاب اليهود في جريدتهم ( جون ترك ) قد أظهروا ميلهم الى الدولة وعطفهم على ايطالية ، فشكرنا لهم ذلك ، ولكن لماذا نطق بعض أرباب الاقلام ، وسكت أرباب الاموال ، فلم يسمع لهم صوت بكلمة التبرع لاعانة الحرب يذكر ، ولا لمساعدة جمعية الهلال الاحمر ،

قال بعض غلاة التعصب الديني من السوريين ان النصارى لا يدفعون اعانة في حرب سماها بعض كتاب المصريين جهادا دينيا مع دولة مسيحية ، ولست أرى هذا عذرا صحيحا لمن لم يصل الى درجة الشيخ يوسف الخوري صاحب جريدة الاخبار في بغض المسلمين والتعصب عليهم ، والاغراء بهم ، فان دفاع أهل طرابلس الغرب عن أنفسهم يسمى في اللغة العربية وفي اصطلاح الشرع جهاداً بوجيه الدين . فاذا كنتم لا تساعدون أهل طرابلس في مصيبتهم الا اذا غيرنا وضع اللغة وعرف الشرع فما أنتم بمساعدين ، لان هذا التغيير ليس في استطاعة أحد من العالمين ، على ان اعانة جمعية الهلال الاحمر ليست اعانة لمسلمي طرابلس على مدافعة نصارى ايطالية بل هي انقاذ كل من يمكن انقاذه من الجرحى والمصابين بنكبات هذه الحرب ولو كان ايطاليا باغياً ، ولكنها باسم العثمانية وتحت هلال علمها . فما بالكم تقبضون أيديكم عنها ،

ان نصارى السوريين المقيمين بمصر وأمريكا هم أرقى السوريين علما وأدبا ، وأكثرهم فضة وذهبا ، وأوسعهم مروءة وكرما ، وأشدهم نجدة وشمما ، واني لأنتظر منهم البرهان الناصع على تأييد الجامعة العثمانية ، وتوثيق الرابطة الوطنية ، بل سمعت هنا حسيس همساتهم ، وحفي مناجاتهم ، بأتمرون بينهم، ويتحفزون للمكرمة اللائقة بهم ، وكاني بها وقد ظهرت في مصر ، وان ظهورها في أمريكا لادل على الفضل والنبل

## ﴿ جامعة اللغة العربية ﴾

الانسان حيوان ناطق فالنطق أظهر مقوماته التي بها امتاز على سائر أنواع الحيوان، وارتقى في مدارج العلم والعرفان، وان صحبتك لمن لا تعرف لغته لاتبعد عن صحبة الحيوان

الاعجم ، فأنس الانسانية والاستفادة من مزاياها بالتعاون لايتم بالكلام فلهذا كانت اللغة أقوى الروابط بين البشر في المصالح والمنافع والترقي الصوري والمعنوي

ورابطة اللغة تشبه نعمة الهواء والماء والصحة في كونها لا يشعر المرء بقيمتها ومنفعتها في حال التمتع بها، ولاأقول انك تصورفضلها ، بتخيل فقدها، بل أقول انك تخيل أنك هبطت بلداً لا تعرف لغة أهله، وأحاطت بك الحيرة من كل جانب في كل معاملة تعاملهم بها ، ثم ظفرت فيه بمن يعرف لغتك ، ماذا يكون قدر سرورك واغتباطك به وحنينك اليه ، واستفادتك منه ، ولاسيما اذا كان من أهلها غير دعيّ فيها ؟

ان أهل طرابلس الغرب، لهم على أهل البلاد التي تحيط بهم من الشرق والغرب، حق جامعة اللغة التي يبذل الاوربيون الملايين لنشرها في جميع بقاع الارض ، وما هي هذه اللغة التي يشاركنا فيها أهل طرابلس ؟ ومن هم أهلها ؟ وما أشهر صفاتهم ؟

تلك اللغة هي العربية الشريفة، وأهلها هم العرب الكرام الذين اشتهروا في العالم كله بالسخاء والكرم، حتى صار السخاء العربي والكرم العربي مما يضرب به المثل ، وقد كان من سخاء بعض أجوادنا أن أعطى سيفه لخصمه في الحرب اذطلبه منه، واختار تعريض نفسه للقتل، على الامساك والبخل، وممن قيل فيه بحق :

فلو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتق الله سائله

فهل يليق بأمة هذا شأنها في الجود والسخاء، ان يرى أبناؤها المدافع تحصد اخوانهم ، وتهدم بنيانهم ، والجوع يقتل أطفالهم ونساءهم ، ولا يواسونهم ببعض ما أنعم الله عليهم من الرزق الواسع ، والمال الكثير ؟

## ( الجامعة الخامسة جامعة الجوار )

للجوار حقوق كحقوق القرابة قضت بها الفطرة البشرية ، وأيدتها الشريعة الالهية ، فن شأن الجار أن يشعر بكل ما يشعر به جاره ويشاركه فيما يسر منه وما يسوء ، فاذا فرح أطربه صوت غنائه، واذا حزن احزنه نشيج بكائه ، وان وقع الحريق في داره ، أصابه شواظ من ناره ، وقد أوصى الله بالجار في كتابه ، وفي حديث الصحيحين والسنن « مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه »

ألا وان جوار الشعوب والبلاد ، كجوار البيوت والافراد ، وانا نرى الدول الطامعة قد تواطأت على اعطاء الجار القوي حق سلب جاره الضعيف ، فكانت

انكلترة والروسية ، هما السالبتين لاستقلال الدولة الايرانية ، وفرنسة واسبانية هما السالبتين لاستقلال الحكومة المراكشية

ألا وان لطرابلس اقرب حق الجوار على مصر وتونس ، ومصر أقدر على اعانتها من تونس ، لانها أوسع ثروة وحرية ، ومن مصلحتها السياسية أن لا تستقر قدم ايطالية الغادرة في أرض جارتها وأختها طرابلس . لان الايطاليين جيران سوء ، واصحاب بغي وغدر ، فذا قدر لمصر ان تخرج من سيطرة الانكليز لاتأمن على نفسها والايطاليون في طرابلس من اعتدائهم عليها بضروب البغي والعدوان ، ودعوى انها أحق بها لمصلحة الجوار

( الجامعة السادسة الجامعة الدينية )

الدين هو صاحب السلطان الاعلى على الارواح ، والحاكم المتصرف في العزائم والارادات ، ورابطته أقوى الروابط وجامعته أعم الجامعات ، فالمسلم الهندي الذي لاتجمعه بالمسلم المغربي جامعة نسب ، ولا لغة ولا وطن ، ولا منفعة مادية أو سياسية ، يغار عليه ويألم لألمه ويحزن لمصابه ، مالا يغار ويألم لمشارك له فيها عدا الدين من الجامعات ، فلا عتب إذاً على المسلم اذا فضل أخاه البعيد في الاسلام على أخيه القريب في الوطن أو الامة أو الجنسية السياسية . وهو يراه أشد حباً له وحدبا وعطفاً وحناناً عليه من هذا الاخ القريب ، ولكن تفضيل ذلك لا يقتضي التقصير في حق هذا

روى أحمد ومسلم في صحيحه عن النعمان بن بشير ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى له عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » وفي حديث الصحيحين عن أبي موسى الاشعري « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » وهذان الحديثان وأمثالها تفسير لقوله تعالى ( انما المؤمنون اخوة ) وقوله تعالى ( رحماء بينهم )

غلب على المسلمين الجهل بدينهم وترك جماهيرهم هدايته ، ومزق نسيج اتحادهم ما كان من اختلافهم في المذاهب : هذا شيعي معادي سنيا ، وهذا أشعري يعيب حنبلياً ، وهذا جهمي يكفر وهابياً ، « واحكم على العكس تحكم المطرد » ثم مزقته أهواء السياسة ونزعات التعرض ، بما أحدث بينهم في هذه الازمان ، من التفرق في الاجناس والاوطان ، ومع هذا كله نرى بصيصاً من ذلك النور الالهي لايزال يلوح

بين أيديهم مشرقاً من أفق الكتاب العزيز والسنة النبوية ، عند ما تصب عليهم المصائب ، وتنتابهم النوائب ، فبنوره يبصرون ، وبحرارته يتعاطفون ، فبينا ترى التركي يحتقر العربي ويحاربه ، والآخر تارة يعاتبه وأخرى يواثبه ، اذا بهما بعد هنيهة متحدان يفدي أحدهما شرف الآخر وحقه بدمه وماله . بالامس كانت الدماء تتفجر من سيوف الترك والعرب في اليمن ، واليوم نسمع عرب اليمن ونجد ينادي زيديهم وشافعيهم ووهابيهم الآستانة : انا مستعدون لبذل انفسنا في سبيل حفظ سيادتك على اخواننا عرب طرابلس الغرب

ان جميع الامم والملل لتعجب من قوة هذه الرابطة الاسلامية على ماوصل اليه المسلمون من التقاطع والجهل ، وان أعداء الاسلام دائبون في اتخاذ الوسائل لنكث فتلها ، ونقض غزلها ، ولهم من ملاحدة المسلمين أعوان على ذلك ربوهم على كراهة هذه الرابطة الشريفة ، وأقنعوهم بوجوب استبدال الرابطة الجنسية أو الوطنية بها ، فهم يعملون لاعدائهم ولا يشعرون

بهذه الرابطة المقدسة نرى المسلمين يبسطون أيديهم لمساعدة اخوانهم في طرابلس على الدفاع عن أنفسهم ، لا يمنع منهم عن المساعدة الا العاجز عنها لفقره أو حيل بينه وبين إيصالها بطريقها ، أو منع حكومته له منها ، وبهذه الرابطة نعلم الجاهل ، وننبه الغافل ، بل لا ينبهنا الا المصائب ، ولا يعلمنا الا النوائب ، فهي التي ستعيد الى الجامعة الدينية قوتها ، حتى تصدر عنها آثارها اللائقة بها ، وما هي الا العدل والفضل ، والمدنية المطهرة من أدران البغي والغدر ، واستباحة الفجور والفسق


* *

كل جامعة من تلك الجامعات الست كافية ليسطاليد في إعانة أولئك المنكوبين المظلومين، فكيف اذا اجتمعت كلها وتحققت في مثل مسلمي مصر ؟ أفلا يكون الذي يبخل منهم جانياً على تلك الجامعات كلها : الانسانية والشرقية والعثمانية والجوارية واللغوية والاسلامية ؟ بلى . فيا أيها المسلمون - وأخص مسلمي مصر بالذكر - أنتم أهل النجدة ، وأجدر الناس بتفريج هذه الشدة ، اعلموا ان الله عليكم فيما أوجبه من زكاة أموالكم سهما للمجاهدين في سبيل الله وهي سبيل الحق والعدل . وأفضل الجهاد الدفاع عن النفس والوطن ، ومقاومة البغي والعدوان ، وهو ما وجب على اخوانكم وجيرانكم من أهل طرابلس . فأعينوهم يشكم الله ويغفر لكم ذنوبكم

أيها المسلمون ان دينكم يوجب عليكم اغاثة المضطر ولو كان كافراً غير محارب

الكم ، بل يوجب عليكم اغاثة الحيوانات المضطرة الى القوت وكل مايقيها الهلاك ، وقال نبيكم صلى الله عليه وسلم « في كل ذات كبد حرى أجر » ( رواه احمد وابن ماجة بسند صحيح ) فما بالكم اذا كان المضطر من اخوانكم وجيرانكم كأهالي طرابلس الغرب ، الذين قطعت ايطالية عنهم جميع موارد الرزق، « لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا » فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لانفسكم ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون »

---

## ١٠

## ﴿ خاتمة المقالات ، شجون ومحاورات ﴾

لكل شيء مادح وقادح ، ولكل كلام مقرظ ومنتقد ، ولقد رأيت أن أختم هذا المقال بشكر الراضين عن مقالات المسألة الشرقية ، والاعتذار مما اقترحوا ، وتفصيل القول في نقد الناقدين والعفو عما اجترحوا

رأيت أكثر من عرفت راضين عن هذه المقالات ناقلين أحاديث الرضاء بل الاطراء عن غيرهم ، مستدلين انها مثبتة الحقيقة ، ومثبتة الطريقة ، واقترح بعضهم ترجمتها ونشرها ببعض اللغات الاوربية ، وبعضهم طبعها على حدتها باللغة العربية ، شافهنا بذلك كثيرون ، وكاتبنا به قليلون ، فنشكر لهم ذلك ونعتذر عن طبعها على حدتها ، ولكننا ننشرها في مجلتنا ( المنار ) وعن ترجمتها ولكننا نأذن بالترجمة وطبعها بغير العربية لمن شاء ذلك

أما الساخطون فهم أعداء الدولة والملة ، وأنصار ايطالية الباغية ، وأما المنتقدون فمنهم الخاص في انتقاده ، المستقل في رأيه مع احترام رأي غيره ، ومنهم غير ذلك ، وقد كانت تظهر أمارات وعبارات السخط من بعض الجرائد الافرنجية وجريدة (الاخبار) العربية ، وكتب اليناترتيس جمعية قبطية (بأبي حنظل ومصر والاسكندرية) كتابا قال فيه : « خط يراعك كلة شلت يد كاتبها الذي يصف قوما أعزاء كرماء وصفوا بالصلاح والتقوى والانسانية (لا التوحش كما تقول ) وحب الخير ( يعني الايطاليين ) بأنهم متوحشون وانك تعلم أنها الفيلسوف الكبير انه لايقدر على الحكم على قوم الا من كان منهم(؟) وان تكن اساءة الدخيل الذي أوجدناه من العدم(؟) وتحتنا

له صدورنا ورفعنا له اسما ومناراً لاتحتمل(١)!! ثم قال الكاتب انه يعفو عن ذنبي هذا الذي أسأت به الى المصريين ( بزعمه ) وأنا دخيل فيهم . هذا ملخص ما كتبه والعقلاء المنصفون يعرفون أينا أحق بالعفو عن اساءته الى الآخر ، وقد ظهر بعد أن أشرنا الى وحشية الايطاليين بزمن غير بعيد ان الجرائد في جميع الممالك الاوربية والامريكية وافقتنا على قولنا وأيدته بروايات مراسليها في طرابلس الغرب ، وبتصويرها لعدوانهم الوحشي على النساء والاطفال والشيوخ وتقتيلهم والتمثيل بهم . واني قد عفوت عن ذلك الساخط الساخر الساب الشاتم ، بعد أن ظهر اني على الحق وهو على الباطل

وبعد هذا وذاك أذكر جميع ما بلغني من الانتقاد في محاورة مع منتقد وهو من عدة مصادر وأجيب عنه : قال لي صديق لا أرتاب في اخلاصه انك قد اشتهرت في الاعتدال فيما تكتب وأراك قد بالغت في هذه المقالات – أو قال تطرفت – حتى شايعت العلم والمؤيد في ذكر الجهاد والحرب الدينية وأنحيت باللائمة على أوربة كلها، وهذه السياسة ضارة بنا

فقلت له ان صورة البغي المنكرة التي فاجأتنا بها ايطالية قد كانت صاخة أصمت المسامع، وقارعة صدعت القلوب ، وان ما تضمنته من مخالفة حقوق الدول وابطال العهود الضامنة لسلامة دولتنا ، وما أجابت به الدول الكبرى حكومتنا حين راجعتها في ذلك من أنها على الحياد، لاتعارض ايطالية في نسخ التعاون الدولي وابطال المعاهدات، كل من هذا الجواب وذلك العدوان الصريح قد دلنا وأشعرنا بأننا مهددون بزوال دولتنا، وذهاب مابقي من ملكنا ، وبأن القوم قد اتفقوا على حل المسألة الشرقية حلا سريعاً حالا اذا لم يروا فينا من الحياة ولوازمها ما يقتضي التلبث في ذلك والرجوع عنه ، فقل لي بحقك ماذا يخاف الذي أنذر بزواله من الوجود اذا هو دافع عن نفسه بكل ما يستطيع ؟ أليس كل ما دون الزوال أسهل منه ، ألم يصدق علينا في هذه الحال، قول شاعرنا الذي سار مسير الامثال « أنا الغريق فما خوفي من البلل » ? بلى انني تأثير هذه القارعة التي ظهر أن أوربة متفقة عليها أردت أن أبين لاوربة نفسها ولجميع العثمانيين والمسلمين أننا نعتقد أن أوربة كلها تكون خصما لنا اذا ساعدت

(١) المراد [illegible] القسط في الشر ولم يساعد أحدهم صاحبه في شيء ولم يسمع من أحد منهم كلمة [illegible] فيه ولا [illegible] جرائمهم له وهو لم يذكر أحداً منهم بسوء، فكيف لا يتحمل قائلهم [illegible] وهو ما لا يقوله صادق من المسلمين

ايطاليه علينا ، ومكنتها من كل ماتريده من البغي والعدوان على بلادنا

كنت هذا معتقدا أن تذكير المسلمين في جميع بقاع الارض كما أوجبه الاسلام في مثل هذه الحال ، وظهور أثر هذا التذكير فيهم — هو أرجى مانرجو من أسباب حذر أوربة من مساعدة ايطالية على كل ماتريد من بغيها ، واستمالة الدول التي يهمها ارضاء المسلمين وحسن اعتقادهم فيها ، وأولاهن بذلك انكلترة ثم فرنسة وروسية المتفقتين معها في السياسة والمصلحة ، وكل واحدة من هذه الدول الثلاث مستولية على عشرات الملايين من المسلمين وقد صرحت بمقصدي هذا في المقالات الاولى ولم أقطع الامل من مساعدة كل الدول

قال صديقي المنتقد ان المسلمين الرازحين تحت سيطرة هذه الدول كلهم ضعفاء بالجهل والتفرق فالدول اذا أرادت انفاذ هذا الامر ( حل المسألة الشرقية ) لاتبالي رضاهم ولا سخطهم، إذ لايستطيعون أن يعملوا شيئا ، قلت اني لا أرى هذا الرأي بل أراها تهتم أشد الاهتمام برضاهم، وتحسب ألف حساب لسخطهم ، اذا كان سببه اعتقادهم أنها تريد ازالة دولة الخلافة وازالة حكم الاسلام من الارض

ان رأيت هذا شبيه رأي أهل بيت النبي بجريدة إلى ان اظهار مسلمي مصر لعواطف الميل الى الدولة العلية واعانة أهل طرابلس على حرب عدوهم ينافي مصلحة مصر ، فهو من ترجيح سياسة العواطف على سياسة المنافع ، التي تتبعها كل العقلاء من أمم المدنية ودولها ، وأنا أرى ان العواطف والمنافع متفقة في هذه الحال فاذا جرى جميع المسلمين على ماطالب المؤيد به المصريين ، وعلمت دول أوربة أن تقسيم بلاد الدولة العثمانية بينهن لايهيج لهم عاطفة، بل يرى كل شعب منهم أن رضاه بزوال هذه الدولة عين المنفعة له والمصلحة ، فانها لاتلبث بقسمة هذه البلاد الا ريثما تتفق على توزيع الحصص، وليت شعري ماهي المنفعة التي تنالها مصر من هذا التقسيم ، وما وجه الرجاء في بقاء غرفة واحدة من غرف دار قلعت من أساسها ، وخرت سقوفها على أهلها، وأتاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم، وعن أيمانهم وشمائلهم،

قال المنتقد : أما ينبغي ان نخاف أن تشدد أوربة وطأتها على المسلمين ، اذا هم أظهروا العطف على الدولة بباعث الدين ؟ قلت اني لا أرى هذا الخوف في محله ولو فعلت أوربة ذلك لكان أنفع للمسلمين، فانه لاشيء يربي الامم ويجمع كلمتها مثل الضغط عليها في وقت تهيج شعورها ، ومصادرتها فيما يتعلق باعتقادها ، على أن كل بلاء يمكن أن يحل بالمسلمين في مثل هذه الحال يجب أن يحتمل في سبيل الدفاع

عن كيان الدولة كما فهمت من جوابي السابق . الخوف من القتل مجلبة للذل ، وانما السلامة في الشجاعة لا في الجبن، ولكن

يرى الجبناء ان الجبن حزم * وتلك خديعة الطبع اللئيم

وأقول الآن ان ماجرينا عليه ، ووجهنا النفوس اليه ، من كون عدوان ايطالية يعد طرقا لباب المسألة الشرقية؛ قد ذكر بعد ذلك في كثير من الصحف الشرقية والغربية وان ما ارتأيناه من تحريك شعور المسلمين لاتقاء الخطر به قد وافقنا فيه العارفون بالسياسة من المسلمين المقيمين الآن في عواصم أوربة ومسلمي الهند وتونس وغيرهم، وأشهر هؤلاء القاضي أمير علي الشهير. وكان من مسلمي الهند ورأس الرجاء الصالح ان عقدوا الاجتماعات الكثيرة لاظهار استيائهم وتألمهم لحكومتهم ومطالبتها بالسعي الى منع هذه الحرب الجائرة ومساعدة الدولة العلية

وكان من تأثير ذلك ان انكلترة لم تضغط على مسلمي مصر ، وفرنسة لم تضغط على مسلمي تونس والجزائر ، ولم تمنعهم عدموا بل من جمع الاعانات لاخوانهم مسلمي طرابلس حتى ان جرائد ايطالية قد وقعت عبر بالشكوى من هاتين الدولتين ومطالبتهما بالتشدد في منع امداد طرابلس وبنغازي من تونس ومصر (١

بل كان من تأثير ذلك ما هو أعظم مما ذكر ، وهو ظهور مبادىء الاتفاق بين دولتنا وانكلترة بارسال سلطاننا الأكبر أنجاله ضياء الدين أفندي لتحية ملك وملكة الانكليز في سفينتهما التي تحملهما الى الهند عند وصولها الى ثغر بورسعيد ذاهبين الى الهند بقصد الاحتفال في عاصمتها القديمة دهلي بنصب الملك امبراطورا على الهند . وكان لقاء وفد نجل سلطاننا لملك الانكليز مع أمير نا خديو مصر بالغاً منتهى الوداد اللائق بالزائر والمزور ، وجواب الملك عن كتاب السلطان ، وخطبته في مقابلة خطبة نجله ، واهداؤه الوسام الخاص بأسرة الملك الى هذا النجل السعيد بعد الزيارة — كل ذلك قد بشرنا بقرب تحقق ما أشرنا به من استمالة دول الاتفاق الثلاثي الينا وفي مقدمتهم انكلترة (٢ وهذا ما صرحنا به في أوائل هذه المقالات منذ شهرين كاملين

وجملة القول انا رأينا العدوان من ايطالية إحدى دعائم التحالف الثلاثي ، ورأينا

(١) بعد كتابة هذه المقالة شددت الحكومة المصرية بايعاز الانكليز في المحافظة على حدود مصر من الشرق والغرب ، فلا يمر شيء الى بنغازي تابعون مهربات الحرب حتى جاوزت [illegible] الى البيت ، ( ٢ ) ما يتحقق ذلك ولن يتحقق مادامت حمية الاعناء تنصرف بالدولة

دول التوازن الثلاثي قد سكتت لها ، ولم يجب نداءنا وطلبنا المحافظة على القوانين والمعاهدات الدولية ، فصحنا من شدة الألم أن أوربة كلها متفقة علينا ، واستصرخنا الشعور الاسلامي وذكرناه بالخطر على مابقي للاسلام من السلطة ، لنستعين بذلك على استمالة انكلترة ودينها الى مساعدتنا ، ودفع الخطر الاكبر عنا ، ولما قيل لنا ان الدول حصرت الحرب في طرابلس الغرب ورأينا مبادىء الرجاء في انكلترة وغيرها تومض أمامنا ، سكتنا عن الشكوى من أوربة كلها ، ولم نشرح ما كنا عزمنا على شرحه

قال المنتقد انك قد صبغت المسألة الشرقية بصبغة الدين جعلتها كالحروب الصليبية كما تقول جريدة العلم المتطرفة الغالية وهي مسألة سياسية كان ينبغي أن نستصرخ فيها العثمانيين خاصة ، لاتفاق المعتدلين بتلك مع المتطرفين على صبغ هذه الحرب بصبغة الدين قد أخاف نصارى بلادنا ان يتضمن ذلك التحريض عليهم والايقاع بهم، فيجب الاقلاع عن تسمية هذه الحرب بالجهاد وجعلها دينية فانها ليست الا سياسية

قلت انني قلما أقرأ جريدة العلم وقلما أراها فما لا أدري ماهو حكمها في هذه المسألة وأرى أننا اذا جعلنا حربنا لايطالية دينية فذلك خير لايطالية ولجميع البشر لا لنصارى بلادنا فقط ، وذلك ان ايطالية نفسها تتبع أحكام الاسلام في الجهاد فان القاعدة الاساسية عندنا في ذلك هي قوله تعالى « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إنَّ الله لا يحبّ المعتدين » فلا يجوز لنا أن نقاتل غير المعتدي علينا . والمعتدي هو المحارب لا جميع أهل جنسه فلا يجوز لنا أن نقاتل من الايطاليين أنفسهم من لايقاتلون كالرهبان والنساء والشيوخ والولدان . وايطالية لاتبقي على أحد من هؤلاء ولا تذر إلا من تعجز عن الوصول اليه ، وأما الحرب الدينية والجهاد الذي معناه أن يقاتل انسان كل من يخالفه في الدين وان كان ذمياً أو معاهداً أو مستأمناً فهذا معنى تبثه أوربة في الشرق بحروبها الصليبية ولم يقل أحد من المسلمين به ، ولو تجردنا من أحكام الدين لاستبحنا في هذه الحرب كل ماتقدر عليه من ايذاء خصمنا والاسلام لايبيح لنا كل ذلك

قال المنتقد ان النصارى لا يفهمون الجهاد الديني في الاسلام بمعناه الشرعي الذي تعنيه بل يفهمون عنه ماهو مشهور عندهم وكثير من عوام المسلمين يفهمون منه مثل فهمهم فيجب أن لا يذكر الدين والاسلام في الكلام عن هذه الحرب لاجل ذلك

قلت انني قد بينت حكم الاسلام وانه لا يجيز لنا أن نقاتل في هذه الحرب غير العسكر الايطالي وسأزيد ذلك بيانا في مقالة خاصة ( وكان هذا قبل كتابة مقالة « الجهاد في الاسلام » في الشهر الماضي ) ومهما قال المسلم منا قولا يمكن أن يرضي بعض المتعصبين منهم، الذين يحسبون كل صيحة عليهم، أو يدعون ذلك لتحريض أوربة علينا كصاحب جريدة ( الاخبار ) ، ولو شئت لنقلت من كلام نصارى الشرق والغرب ما صرحوا به من كون المسألة الشرقية مسألة دينية كقول أمين شميل ( شقيق صديقنا الدكتور شميل ) في كتابه الوافي ان هذه المسألة ولدت بولادة نبي الاسلام، وترعرعت من ابتداء ترعرع ملك خلفائه الى الآن . وعندي نقول كثيرة عن الاوربيين في ذلك لا أحب الا أن أنشرها ، ونسأل الله أن يكفينا شرها

لا يسع أحداً أن ينكر ان المراد من هذه المسألة أن لا يبقى للمسلمين ملك على وجه الارض ، فاذا فرضنا ان هذا لا يضر الاسلام في عباداته ، فهل يقول عاقل مسلم أو غير مسلم انه لا يبطل سلطته وأحكامه القضائية والسياسية ؟ كلا ان هذا هو الذي نعنيه بكون المسألة الشرقية عداوة للاسلام وأهله ، حسب أوربة ما سلبت من ملكه، وقنصت من أرضه ، ولتترك لنا هذه البقية القليلة، فنرى أن الا الاعتداء عليها، وحب أن نبين لها انا عارفون مستيقظون، وان لا نلومها هي على ما تفعل المحافظة على هذا الذماء ، فيل يصح أن نلوم نحن أنفسنا ، ونتخاذل في المحافظة على رمقنا ؟

ولا يمنعنا السعي لذلك أن نستصرخ سائر الشعوب الشرقية ونتعاون معها سرا أو جهراً على هذا الدفاع الشريف ، فكلما اعتدي على قطر اسلامي تحرك شعور المسلمين باسم الاسلام ، وتحرك شعور غيرهم من الشرقيين باسم الشرق ، ويجب أن نكفينا أوربة مؤنة ذلك بنع بعضها بعضا عن الاجهاز على الدولة العثمانية والدولة الايرانية ، واطلاق حرية الدين والعلم والاجتماع في البلاد الاسلامية التي أدخلتها في حمايتها كراكش وتونس وزنجبار وفي البلاد التي ضمتها الى مستعمراتها كالجزائر وجاوه

انا الآن بين الخوف من أوربة والرجاء فيها ، والرجاء في انكلترة أقوى كما بينت ذلك في المقالات السابقة ، ومن أسباب قوة الرجاء فيها ما ظهر من التوادين المسلمين والوثنيين في الهند منذ ظهر عدوان ايطالية بعد اشتداد العداوة بينهم في السنين الاخيرة لمخالفة المسلمين الهندوس فيا يقاومون به الحكومة الانكليزية واني أورد في هذا المقام جملة من كتاب خاص كتبه الي سائح من حيدراباد الدكن بعد ما ساح في كثير من تلك الممالك . قال :

« أفيدكم ان الهند كلها بقضها وقضيضها ، مسلميها على اختلاف نحلهم ، وكفارها على تشعب مللهم ، لا أستثني غير الاوربيين ومبتي الشعور من همج الهمج واشباههم ، قد تغيظوا وتحمسوا أشد التغيظ والتحمس لما صار من ايطالية في الترك ، وقد عقدت المؤتمرات العديدة وأرسلت الاحتجاجات ولا حديث للقوم الا في هذه المسألة ، وهم لا يفهمون منها الا أنها عداء من أوروبة لآسية ، وظلم من القوي للضعيف ، ودرس في التعصب يجب على الشرقي حفظه في سويداء قلبه ، لا خلاف في ذلك بين مسلم وبين برهمي أو مجوسي أو وثني ، حتى لقد أنسى القوم ما بينهم من الاحن والحزازات

« وتتجلى هذه المظاهر بأتم وضوح في البلاد التي تحكمها الانكليز مباشرة ، وهي أقل ظهوراً فيما تحكمه مهراجات الهندوس ، وهي أقل في الممالك المحكومة بأمراء ( نواب ) مسلمين ، ولعل السبب فى هذا هو خوف هؤلاء من غول التعصب الذي يقذفهم به الاجانب عند كل صغيرة وكبيرة »

« ولو كان المنار صحيفة أخبارية لاطلت النفس ونشرت له الاخبار . ثم ان ما صار وظهر في جميع أقطار الهند من هذه الحركة المباركة قد أزعج رجال الانكليز وحسبوا له ألف حساب ، واذا لم ترضهم الانكليز مادامها — لان دور الارضاء بالاقوال قد ذهب — لتندمن حيث لا ينفع الندم ، وستكون عملها إذ ذاك صدمة لكبار الهند ومسلميها ؛ وفي ذلك من الضرر عليها ما تعرفه هي أكثر من غيرها ولا يرضاه لها محبوها ومحبو الانسانية ، سيما مع قرب موعد الدربار ( الاحتفال بالباس الملك تاج امبراطورية الهند ؛ وفي العبارة ما يدل على ميل الكاتب الى انكلترة )

ثم ان رجال ساستها يزعمون أن اتفاق المسلمين مع الهندوس مضر بالمسلمين لانهم الآن نحو مائة مليون نفس فقط ( أي بحسب احصاء هذا العام الذي لما يعلن رسميا ) مع ان الهندوس أكثر من ضعفيهم ، ولكن هل درى ساداتنا الساسة ان المسلمين قد حكموا الهندوس في وقت يكونوا فيه الا نحو خمسة في المائة ؟ ثم زاد الآن عدد المسلمين مع مغلوبيتهم كما تضاعف عددهم بالصين كذلك ، فلهذا لا يعلق المسلمون كبير أهمية على نحو هذا ، وانهم لكما كانوا شجاعة وشدة ، وأكثر مما كانوا علما وحبا للاسلام واستماتة في نصره « وما راء كمن سمع »

« ان أهل الهند لم يروا من آثار الترك سوى الطرابيش المجلوبة من النمسا ولو كان للترك في الهند مدارس عالية كما لأكثر الدول في سائر القارات لكان نفوذ الدولة هناك مما ترجف له أعصاب أعدائها ، واني أنصح للدولة بأن لا تبقي جهدا

في فتح مدارس دينية عامية في جميع الاقطار التي خضعت لنير الاجنبي وبها مسلمون وان ضعفت ماليتها وكلها هـذا الاقتراح ما كلفها ، فـلا بد دون الشـهد من ابر النحل » اه

هذا ما كتبه الينا السائح الذكي الذي نعلم من سياسته الميل الى اتفاق مسلمي الهند مع حكومتهم دون الاتفاق مع أهل وطنهم عليها ، ولكنه مسلم قبل كل شيء ولو كره المتفرنجون المفتونون بالجنسية ، أما اقتراحه على الدولة فما هو بالذي يسمح ولا الدولة بقادرة عليه لاقلة المال ، بل لعدم الرجال ، وأقرب منه أن تنشئ الدولة هذه المدارس العاليـة في الحرمين الشريفين أو تسمح للقادرين على انشائها من المسلمين بذلك من أموالهم ، ويكون لها الغنم ، وعليهم الجهد والغرم

( النتيجة العامة ) ان مقالاتنا في المسألة الشرقية لم نقصد بها الا ماذكرنا من دفع الخطر عن دولتنا وأمتنا ، وقد دعونا فيها غير المسلمين من أهل مملكتنا لمشاركتنا في هذا الدفاع عن الدولة من حيث الجامعة العثمانية ، كما دعونا فيها المسلمين الى مشاركتنا من حيث الجامعة الاسلامية ، والشرقيين الى مساعدتنا من حيث الجامعة الشرقية ، وان غير المسلمين من العثمانيين لم يكونوا أشد غيرة ودفاعا من وثنيي الهند ، ومع هذا كله لاندعو الا الى تقوية الرابطة بيننا وبينهم وحفظ الحقوق الوطنية بيننا وبينهم ، ونحن مع من يساعدنا من الاوربيين ، ولا ينكر علينا أحد اننا نشكر للمحسن احسانه ، ونعرف لصاحب الجميل جميله ولا نكره ، بدليل توددنا الى انكلترة مع عدوتها لنا زمنا طويلا ، ونجعل ذنب هـذه الجفوة على سلطاننا السابق بتودده الى خصيمتها ألمانية . فهذه هي سياستنا فمن أنكر علينا منها شيئاً فليدحضه بعنه بالانصاف وقواعد العقل ، والسلام على من اتبع الهدى ، ورجح العقل على الهوى

٢٠ ذي الحجة سنة ١٣٢٩

( المنار ) بعد أن نشرنا هذه المقالة في المؤيد تذكرنا أن جريدة معروفة بالتعصب على المسلمين حتى لايطالية في عدوانها وبغيها قد أنكرت علينا كلتين من تلك المقالات ، وما كنا نتحرى الادب والحق في كلامنا وان لايوجد فيه ماينكره الخصم وان نظر اليه بعين السخط كتبنا الاستدراك الآتي

## ﴿ استدراك في الانتقاد على مقالات المسألة الشرقية ﴾

اني أحامي بطبعي وسجيتي كل ما تأباه مصلحة الارتباط بيننا وبين أهـل الملل التي تشاركنا في وطننا ، وكل مالا يرضاه الذوق والادب في التعبير عن الحقائق التي أعتقدها ، وان من القوم من ينظر في كلام كل كاتب مسلم بعين السخط من وراء نظارة مكبرة ، ولم يصل اليّ من الانتقاد على هذه المقالات الطويلة الا انكار بعض هؤلاء الذين يجعلون الحبة قبة عبارتين أنتقي أذكرهما وأجيب عنهما

إحداهما نقلي لقول الفقهاء الذي أتوقع أن يلقنه شيوخ السنوسية للناس حيث الحرب تشتعل نيرانها ، وهو ان الكفار اذا دخلوا دار الاسلام فالحرب وجب على كل مسلم فيها مدافعتهم . قال الساخط اني عبرت عن الايطاليين بالكفار وهم أهل كتاب وعد هذا اهانة لجميع المشاركين لهم في دينهم

واني أجيب عن هذا بأني نشرت في الاعـداد الاولى من السنة الاولى للمنار بحثاً متسلسلة في بيان اصطلاحات كتاب العصر بينت في الاولى منها وهي في العدد الاول ان لفظ الكفر قد أطلق في الشرع على مقابلاً للايمان والاسلام ولم يرد بهذا الاطلاق الاهانة ولا السب والشتم لان المعنى لايدل في اللغة على شيء قبيح ولا معيب فان معناه العام هو الستر والتغطية ولذلك سمي الليل كافراً والبحر كافراً ، واطلق في القرآن الكريم لفظ الكفار على الزراع لانهم يكفرون الحب بالتراب أي يسترونه ، وذلك قوله تعالى « كمثل غيث أعجب الكفار نباته » ثم بينت بعد ذلك أن هذا اللفظ صار في عرف أهل هذا العصر مرادفاً للالحاد والتعطيل وصار يعد من ألفاظ السب والاهانة، وافتيت بحرمة اطلاقه في التخاطب على من حرم الاسلام إيذاءهم كالذميين والمعاهدين، ونقلت مثل هذا الافتاء عن بعض الفقهاء. ولكن هذا لايمنعنا من ذكر الاصطلاحات الشرعية في كتبها وعند البحث فيها كما هي ، ومن هذا الباب العبارة الفقهية التي انتقدها الساخط هنا ، على أن الحربيين كالايطاليين لايجب علينا مجاملتهم في الخطاب والتعبير عنهم ولا تجنب إيذائهم كما يجب مثل هذا في خطاب الذميين والمعاهدين

يشبه هذا الانتقاد ان كان عن جهل بالاصطلاح ما رأيته في بعض جرائد السوريين في أمريكة من انكار ذكر الجرائد التركية لفظ الملة والامور الملية ظناً من المنتقد

أنهم يعنون بملة الدين وانما يعنون به الامة ، وما رأيته في بعضها من استنكار عزل شيخ الاسلام لبعض النواب ظنا من الكاتب ان المراد بهم المبعوثون

والعبارة الثانية هي ذكر البغايا مع الخمّارين والمقامرين والتجار والقسوس ووكلاء الدول في سياق ما أصابنا من ضرر هذه الاصناف في أموالنا وآدابنا وسياستنا وديننا، وانني ترويت في كتابة تلك العبارة خشية أن يكون فيها سوء أدب ، وبعد التروي رأيت مثل هذا في أبلغ الكلام وأنزهه ، رأيت ذكر اسم الجلالة الكريم في الآيات التي فيها ذكر الشيطان المبين ، وذكر الطيبين والطيبات ، مع الخبيثين والخبيثات ، معطوفا بعضهم على بعض ، وقال الشاعر

ثلاثة تشقى بها الدار  العرس والمأتم والزار

فذكر أولئك الاصناف من قبيل الاشياء المذكورة في البيت ، أي ان كل صنف منها آذانا نوعاً من الايذاء وان كان لكل منها مقاما في نفسه ليس للآخر كما ان العرس ضد المأتم، وانما ذكرا معاً لان في كل منهما ضرراً ماليا لما اعتيد فيهما من الاسراف، وفي الزار أيضاً ضرر مالي وهو مع ذلك معيب مذموم عند أهل الدين والعقل . فهل يقول أحد ان الشاعر جعل هذه الثلاثة في مرتبة واحدة من كل وجه ؟؟

كلا ان الذي انتقد تلك العبارة وغيرها هو معروف بسوء القصد وتتبع العثرات واستقراء الزلات في أقوال المسلمين المشهورين وأعمالهم ، وهو ممن قال فيهم الشاعر

ان يسمعوا الخير أخفوه وان سمعوا  شراً أذاعوا وان لم يسمعوا كذبوا

فهو لما لم يجد في مقالات المسألة الشرقية كلة يستدل بها على مايرمي به كل كاتب مسلم يغار على ملته من التعصب وتحقير النصارى والاغراء بهم زعم اني أهنتهم باهانة إيطالية لاني قلت ان السنوسية سيقولون للناس ان دفاع الكفار وصدهم عن المسلمين اذا دخلوا بلادهم مقاتلين فرض عين ، ولاني ذكرت وكلاء الدول والقسوس في سياق ذكرت فيه أصحاب الحانات والقمار ! ! ولو لم يخدع بكلامه بعض القوم ويشر اليه بعض دعاة النصرانية في مقالة له رماني فيها بالخروج عن الادب معهم في بعض العبارات، لما كتبت هذه الكلمات في بيان ان تلك العبارة ليس فيها شيء من سوء الادب لأن مثلها معهود في أفصح الكلام العربي وأنزهه . وهب ان فيها شيئا من ذلك فانا بريء من القصد اليه وتعمده لاني أكرم نفسي وأربأ بها ان تأتي ذلك

# نقد تاريخ التمدن الاسلامي

## ﴿ بقلم الشيخ شبلي النعماني ﴾

( تمهيد المنار )

تاريخ التمدن الاسلامي لجرجي أفندي زيدان صاحب الهلال مشهور، وقد سبق لنا تقريظه في المنار وتقد بعض مباحثه ، وذكرنا اننا كنا نود لو نجد سعة من الوقت لمطالعته كله ونقده نقداً تفصيلياً . ولما عرضه مؤلفه على نظارة المعارف المصرية وطلب منها أن تقرره للتدريس في مدارسها عهدت النظارة الى بعض أساتذتها بمطالعته وابداء رأيهم فيه، فلما طالعوه بينوا للنظارة أن فيه غلطا كثيراً وأنه غير جدير بأن يعتمد عليه في التدريس ولا المطالعة ، فلأجل هذا لم تقرره النظارة . وكنت انتقدت الاساتذة الذين طالعوا الكتاب واتقدوه انهم لم يكتبوا ما رأوه فيه من الغلط ويبينوه للناس والمصنف أيضاً لعله يرجع الى الصواب اذا ظهر له ، فانه يدعو الكتاب دائما الى نقد كتبه

ثم ان بعض من قرأه قد انتقده بمقالات نشرت في جريدة المؤيد واجاب المصنف عن بعض ما انتقد عليه واعترف ببعض ، وقد ذكرت هذا في المنار ،

ويرى بعض الناقدين لهذا التاريخ قولا وكتابة أن مؤلفه يتعمد التحامل على العرب وعلى الاسلام نفسه ، وكنت اذا سمعت ذلك منهم أعارضهم وأرجح انه غير متعمد، وان السبب في اكثر ما أخطأ به هو عدم فهم بعض المسائل كتفسيره لمسألة القول بخلق الفاظ القرآن بان القرآن غير منزل من عند الله وتخطأه فيما ذكره عن ثروة المسلمين في عصر النبي ( ص ) وذلك مما انتقدناه عليه في المنار — وإما جعل بعض الوقائع الجزئية قواعد كلية عامة ، وهذا معهود في جميع مؤلفاته ، ولكن ظهر لنا مما كتبه بعد ذلك ومن بعض حديثه معنا ومع غيرنا من أصحابه انه يكاد يكون من الشعوبية الذين يتحاملون على العرب ويفضلون العجم عليهم وكان هذا سبب ترجمة هذا الكتاب بالتركية

وقد انبرى في هذه الأيام الشيخ شبلي النعماني العلامة المصلح الشهير مؤسس جمعية ندوة العلماء في الهند ومحرر مجلتها الى الرد على هذا التاريخ ، وكتب الينا انه يريد ان يرسل الينا ما يكتبه ويطبعه من هذا الرد بالتدريج لننشره في المنار، كما طبع

منه شيئا في ( لكنو ) أرسله الي ان يتم ، ولما كان الانتقاد من مثل هذا العالم المؤرخ هو ضالتنا وضالة صديقنا وصديقه المؤلف، بادرنا الى نشره معتذرين عما في أوله من شدة الحكم ، ووددنا لو لم يصرح به وان اثبته، ولولا انه طبعه لحذفناه منه . قال :

## ( بسم الله الرحمن الرحيم )

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله وصحبه أجمعين ، ان الدهر دار العجائب . ومن احدى عجائبه ان رجلا من رجال العصر(١) يؤلف في تاريخ تمدن الاسلام كتابا يرتكب فيه تحريف الكلم وتمويه الباطل ، وقلب الحكاية ، والخيانة في النقل ، وتعمد الكذب، مايفوق الحد ، ويتجاوز النهاية ، وينتشر هذا الكتاب في مصر وهي غرة البلاد، وقبة الاسلام، ومدرس العلوم، ثم يزداد انتشاراً في العرب والعجم ، ومع هذا كله لا ينطق أحد ببنت شفة (٢) ان هذا لشيء عجاب

لم يكن المرء ليجترىء على مثل هذه العظيمة في مبتدأ الامر ولكن تدرج الى ذلك شيئاً فشيئاً، فانه أصدر الجزء الثاني من الكتاب وذكر فيه مثالب العرب دسيسة يتطلع بها على احساس الامة وخواطرها، ولما لم ينبض لذلك أحد ، ولم ينبض لاحد عرق، ووجد الجو صافياً ، أرخى العنان، وتمادى في الغي، وأسرف في النكاية ، في العرب عموما وخلفاء بني أمية خصوصاً

وكان يمنعني عن النهوض الى كشف دسائسه اشتغالي بامر ندوة العلماء . ولكن لما عم البلاء ، واتسع الخرق، وتفاقم الشر، لم أطق الصبر، فاختلست من أوقاتي أياماً وتصديت للكشف عن عوار هذا التأليف والابانة عما فيه من أنواع الافك والزور وأصناف التحريف والتدليس

## ( معذرة الى المؤلف )

اني أيها الفاضل المؤلف غير جاحد لمنتك فانك قد نوهت باسمي في تأليفك هذا وجعلتني موضع الثقة منك، واستشهدت باقوالي ونصوصي، ووصفتني بكوني من أشهر علماء الهند، مع اني أقلهم بضاعة ، وأقصرهم باعاً، وأخملهم ذكراً ، ولكن مع كل ذلك هل كنت أرضى أن تمدحني وتهجو العرب، فتجعلهم غرضاً لسهامك، ودرية لرمحك،

---

(١) هو جرجي زيدان صاحب مجلة الهلال اه من خط المؤلف في هامش الاصل

(٢) المنار : قد علم من التمهيد ان كثيرين قد نطقوا بما في الكتاب من الخطأ وبعضهم انتقده

ترميهم بكل معيبة وشين، وتعزو اليهم كل دنية وشر، حتى تقطعهم اربا اربا، وتمزقهم كل ممزق، وهل كنت أرضى بأن تجعل بني أمية لكونهم عربا نجعاً من أشر خلق الله وأسوئهم، يفتكون بالناس، ويسومونهم سوء العذاب، ويهلكون الحرث والنسل، ويقتلون الذرية وينهبون الاموال، وينتهكون الحرمات، ويهدمون الكعبة ويستخفون بالقرآن

وهل كنت أرضى بأن تنسب حريق الخزانة الاسكندرية الى عمر بن الخطاب، الذي قامت(١) بعدله الارض والسماء، وهل كنت أرضى بأن تمدح بني العباس فتعدمن مفاخرهم أنهم نزلوا العرب منزلة الكلب، حتى ضرب بذلك المثل، وان المنصور بنى القبة الخضراء ارغاما للكعبة، وقطع الميرة عن الحرمين استهانة بهما، وان المأمون كان ينكر نزول القرآن، وان المعتصم بالله أنشأ كعبة في ( سامرا ) وجعل حولها مطافا واتخذ منى وعرفات

وهب اني عدمت الغيرة على الملة والدين، وافتخرت كصنيع بعض الاجانب بأني فلسفي بحت عادم لكل عاطفة ووجدان، فلا أرضى ولا أغضب ولا أسر ولا أغتاظ ولا أفرح ولا أتألم، وهب أني حملت نفسي على احتمال الضيم، وقبول المكروه، والصمم عن البذاء، ومجازاة السيئة بالحسنة، ومكافأة الخبيث بالطيب، فهل كنت أرضى بأن تشوه وجه التاريخ، وتدمس الحق، وتروج الكذب، وتفسد الرواية، وتقلب الحقيقة، وتلفق التهم، وتعود الناس بالخرافة، بئس ما زعمت أيها الفاضل، فان في الناس بقايا وان الحق لا يعدم أنصارا

ان الغاية التي توخاها المؤلف ليست الا تحقير الامة العربية وابداء مساويها ولكن لما كان يخاف ثورة الفتنة غير عرى القول، ولبس الباطل بالحق. يان ذلك انه جعل لعصر الاسلام ثلاثة أدوار: دور الخلفاء الراشدين، ودور بني أمية، ودور بني العباس، فمدح الدور الاول وكذلك الثالث ( ظاهراً لا باطناً كما سيجيء ) ولما غرّ الناس بمدحه الخلفاء الراشدين، وهم سادتنا وقدوتنا في الدين، وبمدحه لبني العباس وهم أبناء عم النبي صلى الله عليه وسلم، وبهم فخارنا في مت التمدن وأبهة الملك، ورأى ان بني أمية ليست لهم وجهة دينية فلا ناصر لهم، ولا مدافع عنهم، تفرغ لهم، وحمل عليهم حملة شنعاء، لم ترك سيئة الا وعزاها اليهم، وما خلى حسنة الا وابتزها منهم، ثم لو كان هذا لاجل انهم من آل مروان أو لكونهم من سلالة أمية لكنا في غنى عن

---

( ١ ) لعل الاصل شيدت بدل قامت

الذب عنهم ، والحماية لهم ، ولكن كل ذنبهم أنهم العرب على صرافتهم ما شابتهم العجمة مطلقاً كما قال :

« وتمتاز ( أي دولة بني أمية ) عن الدولة العباسية بأنها عربية بحتة » ( الجزء الثاني من تمدن الاسلام )

« وجملة القول ان الدولة الاموية دولة عربية أساسها طلب السلطة والتغلب » ( الجزء الرابع صفحة ١٠٣ )

## ( عصبية العرب على العجم )

أطال المؤلف وأطنب في اثبات هذه الدعوى فذكر طرفاً منه في الجزء الثاني مدسوساً ( انظر صفحة ١٨ ) ثم جعل له عنواناً خاصاً في الجزء الرابع ( ٥٨ ) وهذه نصوصه :

« فان العرب كانوا يعاملونهم معاملة العبيد ، واذا صلوا خلفهم في المسجد حسبوا ذلك تواضعاً لله »

« وكانوا يحرمون الموالي من الكنى ولا يدعونهم الا بالاسماء والالقاب ولا يمشون في الصف معهم »

« وكانوا يقولون لا يقطع الصلاة الا ثلاثة حمار أو كلب أو مولى »

« فكان العربي يعد نفسه سيداً على غير العربي ويرى أنه خلق للسيادة وذاك للخدمة »

« فتوهم العرب في أنفسهم الفضل على سائر الامم حتى في أبدانهم وامزجتهم فكانوا يعتقدون أنه لا تحمل في سن الستين الا قرشية ، وان الفالج لا يصيب أبدانهم »

« ومنعوا غير العرب من المناصب الدينية المهمة كالقضاء فقالوا لا يصلح للقضاء الا عربي وحرموا منصب الخلافة على ابن الامة ولو كان أبوه قرشياً »

« ولا يزوجون الاعجمي عربية ولو كان أميراً وكانت هي من أحقر القبائل »

« وكان الامويون في أيام معاوية يعدون الموالي أتباعاً وأرقاء وتكاثروا فأدرك معاوية الخطر من تكاثرهم على دولة العرب فهم أن يأمر بقتلهم كلهم أو بعضهم »

* *

اعلم ان للمؤلف في اخلاق باطله اطواراً شتى

منها تعمد الكذب كما سترى ، ومنها تعميمه لواقعة جزئية ، ومنها الخيانة في النقل وتحريف الكلم عن مواضعه »

ومنها الاستشهاد بمصادر غير موثوقة مثل كتب المحاضرات والفكاهات . وهناك امثلة من كل نوع منها قال : « اذا صلوا خلفهم في المسجد حسبوا ذلك تواضعاً لله وكانوا يحرمون الموالي من الكنى الخ . وكانوا يقولون لايقطع الصلاة الاثلاثة الخ »

غير خاف على من له المام بتاريخ الفرس والعرب ان الفرس كانت قبل الاسلام تحتقر العرب وتزدريهم ولما ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابه الى كسرى العجم اشمأز وقال عبدي يكتب الي!! وكتب يزدجرد الى سعد ابن ابي وقاص فاتح القادسية ان العرب مع شرب البان الابل واكل الضب بلغ بهم الحال الى ان تمنوا دولة العجم فأفٍّ لك ايها الدهر الدائر . وكانت ملوك الحيرة تحت امرة ملوك العجم .

ثم لما شرف الله العرب بالاسلام انتصفت العرب من العجم واستنكفوا من سيادتهم عليهم ، وجاءت الشريعة الاسلامية ماحية لكل فخر ونخوة فقال رسول الله في خطبته الاخيرة في حجة الوداع ، ان لافضل للعربي على العجمي ولا للعجمي على العربي كلكم ابناء آدم »

وحينئذ ارتفع التمايز وتساوى الناس ولكن مع ذلك بقيت في بعض الناس من كلا الطرفين حزازات كامنة في صدورهم كانت سبباً لحدوث حزبين متقابلين يسمى احدهما الشعوبية وهي التي تحتقر العرب وترميه بكل معيبة حتى ان ابا عبيدة صنف كتباً عديدة يطعن فيها على انساب كل قبيلة من قبائل العرب ، والثاني المتعصبون للعرب . وقد عقد العلامة ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد باباً في حجج كلا الطرفين واقوالهما . ومعظم ما نقله المؤلف في اثبات عصبية العرب هي اقوال ذكرها صاحب العقد في هذا الباب ، كما لوح به المؤلف في هامش الكتاب ،

واذا تصفحت الكتب يظهر لك ان الاقوال التي نسبها الى العرب عموماً انما هي اقوال شرذمة خاصة موسومة باصحاب العصبية ، وصاحب العقد حينما ذكر هذه الاقوال صدرها بقوله « قال اصحاب العصبية من العرب » وانت تعلم ان هذه العصبة ليست كافة العرب ولا اكثرها ، بل ولا عشر معشارها ، فتك سترى ان هؤلاء الناس شرذمة معدودون في الناس . ثم ان المؤلف ما اقتنع بذلك بل ربما نسب قول رجل معين معلوم الاسم الى العرب عامة

فقال ناقلا عن كتاب العقد « وكانوا يكرهون ان يصلوا خلف الموالي واذا صلوا خلفهم قالوا انا نفعل ذلك تواضعاً لله » فان صاحب العقد نسب هذا القول الى نافع بن جبير فاخذه المؤلف وجعله قولا عاماً للعرب ، وهذه الصيغة التي تسمى

الواقعة الجزئيـة هي اكبر الحيل التي يرتكبها المؤلف لترويج باطله بل هي قطب رحى تأليفه .

قال المؤلف « فادرك معاوية الخطر من تكاثرهم على دولة العرب فهم ان يأمر بقتلهم كلهم او بعضهم » ( الجزء الرابع صفحة ٥٩ ) ان نص معاوية الذي نقله المؤلف بعد هذه العبارة هو هذا « كأني انظر الى وثبة منهم على العرب والسلطان فرايت ان اقتل شطراً وادع شطراً » فانت ترى ان الرواية على تقدير صحتها ليس فيها الا انمعاوية راى ان يقتل شطراً منهم . ولكن المؤلف زاد على العبارة وقال ان معاوية هم ان يأمر بقتلهم كلهم .

قال المؤلف فكانوا يعتقدون ان الفالج لا يصيب ابدانهم ، (الجزء الرابع صفحة ٦٠) استشهد في هذه الدعوى بطبقات الاطباء كالوح في هامش الكتاب . وايم الله لو كنت تقف على عبارة الطبقات لوقعت في اشد حيرة من اجتراء المؤلف على قلب الحكاية ، وتغير الرواية ، ذكر صاحب الطبقات تحت ترجمة عيسى الطبيب ( الراجح انه نصراني ) ان المهدي ضربه فالج فحضر المتطبيون ومنهم عيسى صاحب الترجمة فقال « المهدي بن المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس يضربه فالج ! لا والله لا يضرب احداً من هؤلاء ولا سليم فالج ابداً الا ان يبذروا بذورهم في الروميات والصقليات وما اشبههن )

قد نقل صاحب الطبقات بعد الحكاية المذكورة عن يوسف الطبيب ان ابراهيم بن المهدي لما اعتل بعلة شبيهة بالفالج دعا يوسف وقال له ما العلة عندك في عروض هذه العلة لي ؟ ( قال يوسف ) فقلت انه كان حفظ عن أمه قول عيسى أبي قريش في المهدي وولده انه لا يعرض لعقبه الفالج الا أن يبذروا بذورهم في الروميات وانه قد أمل أن يكون الذي به فالجا لا عارض الموت . فقلت لا أعرف لانكارك هذه العلة معنى اذ كانت أمك التي قامت عنك دنباوندية و ( دنباوند ) أشد برداً من كل أرض الروم ، فكأنه تفرج الى قولي وصدقني وأظهر السرور

فأنت ترى ان الظن ببراءتهم من الفالج انما كان مبناه حر أرض العرب وليس له أدنى مساس بشرف النسل. ولو كان كما يتبادر الى الذهن منعد اسماء آباء المهدي فهو يختص بعائلة النبي عليه السلام لايفهم منه العموم مطلقاً ، ولذلك لما ذكر لابراهيم ( وهو ابن الخليفة المهدي )انأمه من (دنباوند) وهوأشد برداًمن كلأرض الروم ، ذهب عنه استغرابه عروض الفالج له

فانظر كيف كان مجرى الحكاية فغيرها المؤلف وارتكب لذلك خيانات تترى ثم ان هذا قول عيسى الطبيب ولا يدرى انه عربي أم لا وغالب الظن انه نصراني، وهب انه عربي فهو رجل من حاشية الدولة يريد التزلف الى الخليفة والتملق له فهل يكون قوله قول العرب كافة

* *

قال المؤلف : ومنعوا غير العرب من المناصب الدينية المهمة كالقضاء فقالوا لا يصلح للقضاء الا عربي ، ( الجزء الرابع صفحة ٦٠ ) واسند هذه الرواية الى ابن خلكان

حقيقة هذا القول ان الحجاج لما أمر سعيد بن جبير التابعي المشهور وكان من الموالي قال له عتباً عليه اما جعلتك اماماً للصلاة في الكوفة ولم يكن في الكوفة الا العرب ، قال ابن جبير نعم ، ثم قال له الحجاج أليس إني لما أردت ان أوليك قضاء الكوفة ضج العرب وقالوا لا يصلح للقضاء الا عربي ? وقد ذكر الرواية ابن خلكان بطولها ولايخفى عليك ان كوفة . مكر اذ ذاك جهالا العرب وظاهر ان القضاء لا يصلح له الا من كان عارفاً واثد الامة مطلعاً على خصائصهم وكيفية تعاملهم فيما بينهم ، وسعيد بن جبير لم يكن من العرب ولو كان استنكاف أهل كوفة من قضائه لاجل كونه من الموالي لاستنكفوا من امامته للصلاة فان الامامة أعظم شرفاً وارفع محلا من القضاء . وهذا ابو حنيفة كان من الموالي وأرادوا أن يولوه القضاء في عصر بني أمية فامتنع ولم يرض بذلك وقد ذكر الواقعة ابن خلكان مفصلا ،

قال المؤلف « وحرموا منصب الخلافة على ابن الامة ولو كان قرشياً » نعم ولكن لم يكن هذا للاستهانة به قال الاصمعي كانت بنو أمية لاتبايع لبني أمهات الاولاد فكان الناس يرون ان ذلك للاستهانة بهم ولم يكن لذلك ولكن لما كانوا يرون ان زوال ملكهم على يد ام ولد (١) . أما ما استدل به المؤلف من قول هشام بن عبدالملك لزيد بن علي انك ابن أمة ولذلك لاتصلح للخلافة، فقد رده عليه زيد وقال ان اسماعيل كان ولد الجارية وكان سيد البشر محمد من سلالته . ومن المعلوم ان زيداً وهو ابن الامام زين العابدين أرفع شأناً وأعظم محلا وأطيب أرومة وأصدق قولا من هشام . ثم لو كان هذا الامر حقاً ما كانوا يولون الخلافة يزيد بن الوليد الاموي ومروان الحمار وهما ابنا أمة ،

ولما فرغنا من ابداء شطر من خيانات المؤلف ليكون كالعنوان على دأبه في تأليفاته

(١) انظر الجزء الثاني من العقد الفريد طبع مصر صفحة ٣٣٠

حان لنا ان نحقق أصل المسألة أي ان العجم والموالي هل كانوا أذلاء ساقطين مرذولين يعاملون معاملة العبيد في عصر بني أمية كما يدعيه المؤلف او كانوا بمحل من الشرف والعزة يعترف لهم العرب بالفضل والسؤدد ، ويوفى لهم أوفى قسط وأكمل حق

اعلم ان البلاد التي كانت عواصم الاقاليم وقواعدها في عصر بني أمية هي مكة والمدينة والبصرة والكوفة واليمن ومصر والشام والجزيرة وخراسان وكان لكل هذه الاصقاع امام يقودهم ويسود عليهم وهذه اسماؤهم

| | |
|---|---|
| مكة المشرفة | عطاء ابن ابي رباح هو استاذ الامام ابي حنيفة |
| اليمن | طاوس |
| الشام | مكحول |
| مصر | يزيد بن ابي حبيب |
| الجزيرة | ميمون بن مهران |
| خراسان | ضحاك بن مزاحم |
| البصرة | الامام الحسن البصري |
| الكوفة | ابراهيم النخعي |

وكل هؤلاء غير ابراهيم النخعي كانوا من الموالي وبعضهم ابناء الاماء ومع كونهم اعجاماً وكونهم اولاد الاماء كانوا سادة الناس وقادتهم تذعن لهم العرب وتحترمهم خلفاء بني امية وولاة الامر ة

فأما ( عطاء بن ابي رباح ) فمع كونه ابن سندية كان شيخ الحرم واليه المرجع في الفتوى وعليه المعول في المسائل ، قال ابن خلكان في ترجمته قال ابراهيم بن عمرو ابن كيسان اذكرهم في زمان بني أمية يأمرون في الحج صائحاً يصيح ( لايفتي الناس الا عطاء بن ابي رباح ) وهل يمكن ان ينادى بمثل ذلك من غير رضى الخلفاء ( ١ )

واما ( طاوس ) فناهيك عن محبته بمكة ازدحم الناس في جنازته حتى تعذرت الصلاة عليه

( ١ ) المنار : الامر أكبر من ذلك ، كان عطاء يشدد في وعظ عبدالملك والوليد فيقبلان منه ولينظر في صفحة ٢٢٢ و ٢٢٣ من مجلد المنار الثامن وعظه لعبدالملك وهو جالس معه على كرسيه وترفعه عن الاخذ منه وقول عبد الملك عند خروجه « هذا وأبيك الشرف » ومخاطبته الوليد باسمه وتشديده في وعظه حتى أغمي عليه

وكان ابراهيم بن هشام اذ ذاك والياً على مكة فاستعان بالشرطة ومشى في جنازة عبد الله ابن الامام حسن عليه السلام واضعاً نعشه على عاتقه وصلى عليه الخليفة هشام بن عبد الملك الاموي . ذكر كل هذا العلامة ابن خلكان في ترجمة طاؤس فهل يكون منزلة اعظم من ذلك ،

واما ( مكحول الشامي ) فأحد الأئمة المتبوعين وقال الزهري العلماء اربعة فلان فلان ومكحول

واما (يزيد بن ابي حبيب) فهو الذي ارسله عمر بن عبد العزيز ليفقه الناس في مصر ويفتيهم في المسائل وهو المفتي الاول لهم كما صرح بذلك السيوطي في حسن المحاضرة

واما ( ميمون بن مهران ) فمع فضيلته وسيادته كان اميراً على الخراج في الجزيرة كما صرح به ابن قتيبة في المعارف

اما ( حسن البصري ) فحدث عن البحر ولا حرج ، يذعن له الملوك والسادة والقواد وعليه المعول واليه المنتهى ( ١ )

ذكر السخاوي في شرح الفية الحديث للعراقي ( طبع لكهنو صفحة ٤٩٨ و ٤٩٩ ان هشاما قال للزهري . من يسود أهل مكة ؟ قال عطاء ، قال بم سادهم ؟ قال بالديانة والرواية ، قال هشام نعم من كان ذا ديانة حقت الرياسة له . ثم سأل عن من قال طاؤس وكذلك سأل عن مصر والجزيرة وخراسان والبصرة والكوفة فأخذ الزهري يعد اسماء سادات هذه البلاد وكلما سمى رجلا كان هشام يسأل هل هو عربي أم مولى ؟ وكان يقول الزهري مولى ، الى ان أتى على النخعي وقال انه عربي . فقال هشام « الآن فرّجت عني والله ليسودن الموالي العرب ويخطب لهم على المنابر والعرب تحتهم »

ان التابعين لهم اعلى محل في تاريخ الاسلام — ورأسهم سعيد بن جبير وهو وهو اسود وقد ولاه حجاج بن يوسف امامة الصلاة في الكوفة كما ذكره ابن خلكان في ترجمته والكوفة اذ ذاك جمجمة العرب وقبة الاسلام وهل يصح بعد ذلك دعوى المؤلف ان العرب كانت تستنكف من الصلاة خلف الموالي

وهذا سليمان الاعمش استاذ الثوري كان عبداً عجمياً وكان بمنزلة من العز

( ١ ) راجعوا ص ٤٢٣ وما بعدها من هذا الكتاب التاسع لاغلاظ الحسن على الحجاج ؛ وفي صفحة ٤٩٨ منه نصيحته لوالي بني أمية على العراق

والشرف انه لما كتب اليه الخليفة هشام بن عبدالملك ان يكتب له مناقب عثمان ومساوي علي اخذ كتاب هشام والقمه عنزاً كان عنده وقال للرسول قل لهشام هذا جواب كتابك ( ابن خلكان ترجمة الاعمش )

وهذا حماد الراوية الذي دون المعلقات وله المكانة الكبرى في الادب والشعر كان عبداً اسود وكانت ملوك بني امية تقدمه وتؤثره وتستزيره كما ذكره ابن خلكان

وهذا سالم بن عبدالله بن عمر كان ابن امة ولما دخل الخليفة هشام بن عبدالملك المدينة ارسل اليه يدعوه فاعتذر فدخل عليه هشام ووصله بعشرة آلاف ثم لما حج ورجع كان سالم اذ ذاك مريضاً فذهب لعيادته ولما توفي صلى عليه وقال لا ادري باي الامرين أنا أسر : بحجتي ام بصلاتي على سالم ؟ ولو اخذنا في تعداد امثال هذه الوقائع لطال الكلام ومل الناظرون

ويظهر مما مر عليه ان الموالي كانوا في ايام بني أمية يحتلون محلا من الشرف والمكانة وكانت العرب تذعن لهم وتقدمهم وتقتدي بهم وترفع شأنهم ، فهل يصح قول المؤلف بعد ذلك ان الموالي وابناء الاماء كانوا في عصر بني امية مرذولين ساقطين يزدرى بهم ولا يقام لهم وزن وكان العرب وبنو أمية يعاملونهم معاملة العبيد ؟

( لها بقية )

---

# القرابين والضحايا في الاديان

﴿ للدكتور محمد توفيق صدقي ﴾

( الطبيب بسجن طره )

كثر لغط المجلات التبشيرية النصرانية في هذه المسألة مفسرين لها بحسب أهوائهم وأغراضهم زاعمين أن وجود الذبائح والقرابين والضحايا في الاديان عموما وثنية كانت أو إلهية هو رمز لذبيحتهم العظمى وهو صلب المسيح بحسب اعتقادهم عجيب أمر هؤلاء القوم ! ! فانهم منذ نشأتهم في العالم لما لم يجدوا لهم برهانا عقليا أو نقليا على إثبات دعاويهم وعقائدهم عدوا الى طريقة هي من الغرابة بمكان عظيم . وذلك أنهم نظروا في كتب من سبقهم من بني اسرائيل وغيرهم فدرعوا

بعض مافيها من النصوص او الشرائع والقصص وغير ذلك ثم اخترعوا للمسيح صلى الله عليه وسلم (١) ماشاءوا من الحوادث التي قد يكون لبعضها أصل تاريخي صحيح مراعين في ذلك أن يكون هناك شيء من التشابه بين مايدعون وبين ما يوجد من النصوص في كتب المتقدمين ليتخذوا ذلك دليلا على صحة دعواهم أن السابق إشارة أو رمز إلى اللاحق مما يلفقون. ولم نجد لهم دليلا على عقيدة من عقائدهم سوى هذه الطريقة التي ملأوا الدنيا بها صياحا وعويلا مدعين أن كل ماسبقهم من الكتب هو تمهيد أو رمز الى دينهم وأن كل شيء خلق لاجلهم مع أن جميع الامم التي سبقتهم لم يكن يخطر على بال أحدمنها أن ماعندهم من الشرائع رمز لدين آخر

لا يظن القارئ أني أنكر تلك النبوات والرموز التي وردت في كتب الانبياء السابقين إخبارا عن الانبياء اللاحقين اذا كانت صريحة في ذلك، ولكن الذي أنكره على النصارى هو أنهم جعلوا كل شيء في أديان من سبقهم حتى من الوثنيين رموزا للمسيح عليه السلام مع أن بعض هذه الرموز المزعومة ربما لا يكون له أدنى علاقة به ولا خطر ببال أحد ذلك عليه السلام وانما هو التحكم يجعلهم يتوهمون أنها تنطبق عليه ولولا ذاك ماخطر على بال أحدهذا الانطباق البعيد العجيب ، فتراهم مثلا يجعلون خروج بني اسرائيل من ارض مصر إشارة الى حضور المسيح فيها ورجوعه منها الى بلده ( راجع متى ٢ : ١٥ وهوشع ١١ : ١ ) وفي الاناجيل من مثل ذلك كثير. وقد در السيد جمال الدين الافغاني حيث قال مامعناه ( ان مؤلفي العهد الجديد قد فصلوا قميصا من العهد العتيق وألبسوه لمسيحهم )

هذه مسألة الضحايا والقرابين في الاديان لها فيها معان وأغراض أخرى ولكن يتحكم النصارى فيها ويدعون أنها رمز الى ( صلب المسيح ). ولنبين هنا

---

(١) حاشية : الاظهر أن لقب المسيح كما قال صاحب المنار علم على عيسى بن مريم ولذلك دل على ( اسمه مسيح عيسى بن مريم ) ومعنى المسيح الملك الممسوح لانهم كانوا يمسحون ملوكهم ... عند توليتهم وانه اذا اطلق علم على شخص لايجب أن يتحقق مدلوله في هذا الشخص ... وحلا ( صادقا أوسلطانا ) فلا يجب أن يكون صادقا ولا سلطانا فلا عجب اذا سمي ... الامم وان ... ملك وهو أفضل من ملوك الارض وسلاطينها وأكثرهم تابعا

كيف أنه لايوجد أدنى انطباق أو أي علاقة بين هذه المسألة وبين مسألة الصلب فنقول :ـ

(١) إن الضحايا والقرابين موجودة في جميع الاديان حتى الوثنية منها من قديم الازمان فاذا سلمنا أن مايوجد منها في الاديان الالهية هو اشارة الى المسيح عليه السلام فكيف نفسر وجودها في الاديان الوثنية وهي لاتعرف المسيح ولا دينه؟! سيقولون ان الاديان الوثنية لها أصل صحيح وكانت فيما قدما هذه المسألة رمزا الى المسيح ولما طال الزمان نسي الناس ذلك ونقول كيف تتفق الامم في جميع الازمنة وفي جميع بقاع الارض على نسيان ذلك وهو كما يزعم النصارى أساس الدين كله ؟

وكيف لا يوجد أدنى أثر في كتبهم أو معتقداتهم على أن الاصل في الذبائح هو الرمز للمسيح وهو أمر لم يخطر على بالهم ، وهب أن جميع الامم الوثنية نسيت ذلك فكيف نسيه بنو اسرائيل وأنبياؤهم وهم أقرب الناس الى المسيحيين ؟ وكيف لايوجد في كتب العهد العتيق المسلمة عند النصارى تصريح بهذه المسألة العظمى التي كان يجب أن تذكر صريحا في كل كتاب من كتب الانبياء السابقين ؟ وأن يخبروا أممهم بأن القرابين جميعا والذبائح ليست مقصودة بالذات بل هي اشارة الى ذبيحة كبرى ستأتي بعد ؟!

(٢) اذا سلمنا أن الذبائح كانت اشارة الى هذه الذبيحة الكبرى ( صلب المسيح ) فماذا يقولون في القرابين الاخرى التي لم تكن من جنس الذبائح وهي كثيرة في الشريعة الموسوية كالمحرقات التي تقدم من أثمار الارض ومن الدقيق والزيت واللبان والفريك وغيرها مما كان يحرق بالنار قربانا للرب ورائحة لسروره كتعبير التوراة

(٣) اذا سلم أن الذبائح اشارة الى الصلب فالى أي شيء يشير إحراق نفس الذبائح كلها أو بعضها بالنار ؛ فهل أحرق المسيح بها ؟!

(٤) كيف يكون الذبح اشارة للمسيح عليه السلام مع انه مات صلبا على قولهم لا ذبحا أي انه لم يهرق دمه حتى يموت بنزف الدم بل ظاهر عباراتهم أنهم ا كتفوا

بتعليقه على خشبة الصليب بثقب يديه ورجليه فقط ولم يكسروا عظما من عظامه ( يوحنا ١٩ : ٣٦ ) فلذا لم يرد في الاناجيل أنهم ثقبوا عظم صدره بمسمار دق في قلبه كما قد يتوهم بعضهم والا لمات في الحال ولما بقي حيا من الساعة الثالثة الى التاسعة كنص انجيل مرقس ولو كان ثقب يديه ورجليه أحدث نزيفا عظيما لما بقي ست ساعات وهو حي ولما كان هنالك وجه لتعجب بيلاطس من موته بسرعة ( مرقس ١٥ : ٤٤ ) فالظاهر على هذا ان الدم الذي سال منه كان قليلا وأنه لم يمت بسبب نزف دمه بل مات بسبب ألم الصلب والجوع والتعب واعاقة التنفس بتعليقه فكان الواجب لكي يتم التشابه بين الرمز والمرموز اليه ان تصلب الحيوانات عند بني اسرائيل وغيرهم حتى تموت مثله أو أن يذبح هو بيد تلاميذه قربانا لله لا أن يموت صابا بيد أعدائه بدون أن يسفك شيء يذكر من دمه . نعم ورد في انجيل يوحنا ( ١٩ : ٣٤ ) أن بعض العسا كر طعنه بعد ان مات واسلم الروح بحربة في جنبه فخرج منه دم وماء ولكن هذا شيء والذبح شيء آخر كما لا يخفى ولم يخرج منه دم يذكر قبل مماته كما لم يكن خروج ما خرج منه من الدم سببا في وفاته . اما خروج الدم والماء منه بعد مماته فهو من الوجهة الطبية عجيب غريب وليس تفسيره بالسهل الجلي (١)

ولنبدأ الآن ببيان الغرض الحقيقي من الضحايا والقرابين في الاديان فنقول :ــ

كان الوثنيون يقدمون هذه القرابين لآلهتهم لاعتقادهم أنهم ينتفعون بها كما كان يعتقد بعض الامم ان الاموات يأكلون ويشربون فيضعون في قبورهم شيئا من ذلك كثيرا . على ان بعض هذه المعبودات الوثنية كان ينتفع فعلا بأكل بعض القرابين كالعجول والثيران وغيرها فانها كانت تأكل مما يقدم لها من الحبوب والنبات ونحوها . وكانت الكهنة وسدنة الهياكل وخدمة الاصنام تنتفع أيضا بهذه القرابين فيرغبون الناس فيها للاكثار منها وكذلك أيضا كان بعضها يستعمل في الهياكل والمعابد لفرشها واضاءتها وزينتها كما تنفع الآن نذور العامة

(١) اشار : لا يمكن أن يخرج من الميت اذا طعن شيء من رطوبات الجوف اذا نفذت الطعنة اليه ، وهذه الرطوبات قد تكون مختلفة اللون والمادة

لاضرحة الاولياء والقديسين فتضاء بها وتفرش ويأخذ منها الخدم ما يلزم لمنازلهم
ولكن الاديان الصحيحه لم تأمر بالقرابين لان الاله ينتفع بها – حاش لله
( لن ينال الله لحومها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منكم ) وانما أمرت بها
هذه الاديان لفوائد اخرى نأتي هنا على بعضها :-

(١) الفقراء عيال الله فمن نفعهم رضي الله عن عمله وكأنه نفعه تعالى لو لم يكن غنيا عن العالم، وكما ان الله تعالى أمر الاغنياء ببذل شيء من مالهم للفقراء سواء كان نقودا او ملبوسا (١) أو حبوبا أو ثمارا أو أي مطعوم آخر أو مشروب كذلك أمر باطعامهم أنواع اللحوم فانها أشهى إلى نفوسهم وأبعدها عنهم. وإنما أوجب الاسلام في كفارة بعض جنايات الحج ذبح الذبيحة قبل اعطائها للفقراء ولم يبح اعطاءها لهم بدون ذبح ليتيسر توزيعها على عدة فقراء بدل اختصاص فقير واحد بها ولينقطع بذلك كل امل الذابح في عودتها اليه واسترادها من الفقير بمال او بدل أو غير ذلك ولينقطع أيضا أمله في الانتفاع بها وهي عند الفقير بركوب او نسل أو لبن أو وبر أو صوف أو غير ذلك فيكون التصدق بها تاما وخالصا لوجه الله تعالى وليضطر الفقير أن يأكل منها هو وولده وأهله فانها إذا أعطيت له حية فانه يبخل بها على نفسه ويحرم اهله وولده من أكلها حبا في ابقائها أو بيعها أو كنز ثمنها فيبقى هو وأهل بيته محرومين من أكل اللحم طول حياتهم وهو من أشهى المأكولات والذها وأكثرها تغذية وأبعدها عن الفقراء والتوسيع عليه وعلى اهله امرنا بذبحها ولتكثر تربية المواشي والانعام والانتفاع بها وهي أنفع الاشياء للناس خصوصا في الازمنة القديمة ولتتسع ايضا دائرة التجارة فيها فيربح منها التجار الاغنياء منهم والفقراء قال تعالى « لكم فيها منافع الى أجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق »

فان قيل — ولماذا لا يعطى ثمن الذبيحة للفقراء في الحج بدل الذبح ؟ –
قلت ذلك لقلة النقود بين العرب وعدم انتشار استعمالها بينهم في ذلك الزمن لذلك كان اكثر تقدير أنواع الزكاة في الاسلام بالاعيان كالغلال وغيرها

(١) اشارة الى قوله تعالى ( أو كسوتهم )

لا بالنقود وأيضا فان الفقير إذا أعطي نقودا بدل اللحم كنزها أو أنفقها في شيء آخر وأما اللحم فانه يضطر أن يأكله هو وأهله ولا يحرمهم منه كما تقدم . ومن أحكام الذبح أيضاً أن يذكر الذابح اسم الله تعالى على الذبيحة شاكراً له على نعمه وذاكراً أنه لولا أمره تعالى له بالذبح ما جاز له إزهاق روح هذا الحيوان للتمتع به وبذلك ترتفع قيمة الحياة والارواح في نظر الناس فلا يستهينون بها . قال الله تعالى في الحج « ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير » ولذلك حرم أكل الحيوان إذا لم يذكر اسم الله عليه أو ذكر اسم غيره تعظيما لأرواح الحيوانات . وقد جعل الله لكل امة مذبحا يذكرون اسم الله فيه على ما يذبحون ( ولكل أمة جعلنا منسكاً ليذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة الانعام )

(٢) إن الذبائح والقرابين قد تكون عقوبات أو غرامات لمن يرتكب شيئا من الآثام أو من السيئات كما قال الله تعالى بعد ذكر عقوبة من قتل الصيد وهو محرم ( ليذوق وبال أمره ) وهذا الامر يظهر جليا خصوصا في ذبائح بني اسرائيل وقرابينهم التي كانوا يقدموها كفارة لكثير من الذنوب ويحرقونها بالنار فكأنه كان في الشريعة الموسوية أن من يرتكب بعض الذنوب يعاقب عليها في الدنيا بفقد جزء من ماله كالغرامات الموجودة في سائر القوانين المدنية

(٣) إن الذبائح والضحايا يراد بها أيضا تعويد الناس على الاستعداد لبذل المال والنفس والولد في سبيل الله فهي تذكرنا بأكبر حادثة من حوادث الاسلام لله تعالى والانقياد اليه في كل شيء ولو أدى ذلك الى ضياع النفس أو الولد وهذه الحادثة هي إرادة إبراهيم عليه السلام أن يذبح ولده طوعا لامر الله وامتثالا له وذلك أكبر علامات صدق الايمان . قال تعالى ( ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا ) ومن اعطى شيئا في سبيل الله فكأنما أعطاه لله تعالى نفسه كما قلنا سابقا ( من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة ) فالمؤمن الحقيقي أو المسلم لله هو الذي لايبخل بماله ولا بنفسه ولا بولده في سبيل الله

لنفع الناس وهم عياله تعالى

فان قيل لماذا فدى الله تعالى ابن ابراهيم بالكبش ولم يكتف بنهيه له عن ذبحه ؟ قلت ليزيل كل شك في نفس ابراهيم ونفس غيره بأنه انما امتنع عن الذبح لضعف عزيمته فتأول كلام الله أو لم يقمه على حقيقته فأظهر الله تعالى بهذا الفداء أن ابراهيم لم يمتنع عن الذبح لتأويل ضعيف أو اشتباه بل لنهي الله تعالى له عنه نهياً لاشك فيه ولا يقبل التأويل بظهور هذا الكبش الذي بعثه الله تعالى له ليذبحه بدل ابنه . وفي هذا الفداء أيضا اشارة الى ان الله تعالى يتقبل من عباده المخلصين أعمالهم وان لم تتم ويكافئهم عليها بالجزاء العظيم كأنها أعمال تامة متى خلصت نيتهم وصحت عزيمتهم مهما كان العمل صغيرا أو حقيرا تفضلا منه وكرما . وهناك أيضا فائدة أخرى وهي أن يمثل الناس بعد ابراهيم هذه الحادثة على مر الايام بالضحايا وليذكروها بالعظة والاعتبار تنبيها لهم على وجوب تقديم أنفسهم لله كأبيهم ابراهيم، الذي سماهم لله مسلمين

(٤) إن الناس بسبب مايرتكبون من الذنوب يستحقون الهلاك العاجل والمحو من الوجود ( ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ماترك على ظهرها من دابة ) فهم يقدمون هذه الذبائح اشارة الى انهم يستحقون أن يقتلوا أنفسهم الكثرة ذنوبهم ومعاصيهم ولولا لطف الله تعالى ورحمته بهم لما تقبل منهم سوى قتل أنفسهم فالذبائح تشير الى الشكر لله والندم على الذنوب والاعتراف باستحقاق عذاب الله ولذلك قال ( ولكن يناله التقوى منكم ) كما سبق

(٥) ان ابراهيم بعد أن بنى الكعبة بيتا لله دعا الله ان يسوق الناس الى ذريته من اسماعيل الذي أسكنه هناك ، وأن يرزقهم من الثمرات ، وأن يجعل بلدهم آمناً فأجاب الله تعالى دعاءه و ( أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ) وجاب اليهم من كل الثمرات والخيرات وا كثر بينهم من كل شيء حتى أنواع اللحم كله يأكلونه غريضا أو قديدا . ووجد لذلك مذبح المسلمين ومعبدهم وربما كان اختيار ابراهيم بذبح ولده في مكة لافي الشام فكرم نسل اسماعيل كما كرم نسل

اسحاق كوعد التوراة ( تكوين ١٧ : ٢٠ ) وقد جاء في انجيل برنابا ان الذبيح هو اسماعيل (١)

فهذه بعض حكم الذبائح والقرابين في الاسلام وغيره من الاديان وأما قول النصارى أنها رمز الى المسيح فقد أريناك ما فيه ونقول أيضا اذا سلم أن معنى الضحايا والقرابين في الاديان القديمة هو ما يزعمه النصارى الآن ـ وهذا المعنى لم يكن يخطر على بال تلك الامم القديمة كما هو ظاهر من كتبهم ـ فما فائدة الذبائح والقرابين إذاً بالنسبة لهم وهم لم يفقهوا منها ما يفقهه النصارى الآن ؟ ألا تكون لهم لغوًا وعبثا كانوا يفعلونه أزمانا طويلة وخصوصا لانهم لم يخبروا صريحا بالمراد منها ولم يعرف بينهم هـذا المعنى الذي يدعيـه النصارى اليوم .

ولـماذا أبطلت الذبائح في الديانة النصرانيـة ولم تبق فيها تذكارا للصلب والخلاص مع أنها لو بقيت في النصرانية لكانت أفيد واظهر من وجودها في الاديان القديمة من غير أن يفهم المراد منها ؟ ولماذا استبدلت الذبائح بالعشاء الرباني في المسيحية ؟ وأي مناسبة بين الخبز والخمر وبين الجسد والدم ؟ ولماذا فعل المسيح العشاء الرباني قبل الصلب مع أنه كان الا ليق أن يفعل بعـده ليكون هناك معنى لكونه تذكارا له ؟ وهل يعمل التذكار للشيء قبل وقوعه مع أن المناسب والمعتاد أن يكون بعده ؟

فكأن الذبائح والقرابين كان يجب عملها قبـل المسيح حينما كان الناس لا يفهمون أنها رمز أو إشارة الى صلبه ولم يكن غفران الذنوب حينئذ لاجلها في الحقيقة ثم تركت بعد الصلب حينما كان يسـهل على الناس فهم أنها للتذكار ففي الوقت الذي لا يكون لها فائدة ما يجب أن تعمل وفي الوقت الذي يكون لها فائدة تترك وتهجر فما حكمة ذلك ياترى ؟

(١) حاشية : في هذه التوراة ان الذبيح كان ابن ابراهيم الوحيد فالظاهر ان تسميته بعد ذلك باسحاق تحريف من اليهود ليفتخروا بأنهم من نسله ولكراهتهم أن يشاركهم غيرهم من الامم في مزية من المزايا أو أن يختص بها وخصوصا بني اسماعيل والا فان اسحاق لم يكن ابن ابراهيم الوحيد بل كان مسبوقا باسماعيل والاخبار بذبح الابن الوحيد أشق على النفس من ذبح الابن الذي يوجد غيره فلهذا ولغيره نرجح أن اسماعيل هو الذبيح لا اسحاق

على أننا لانفهم كيف يكون المسيح كفارة لذنب آدم الذي عم بنيه كما يدعون وذلك لانه اذا كان ما بنالنا في هذه الحياة الدنيا من المتاعب والمشاق هو جزاء لنا على ذنب آدم فهذا الجزاء لم يرتفع عنا بعد الصلب . وان كان الجزاء سيحصل لنا في الآخرة على ذنب آدم ففي الآخرة كل نفس ( لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ) (ولا تزر وازرة وزر أخرى )والا فأين العدل الالهي الذي يكثرون الكلام فيه ؟ فهل من العدل عندهم أن يعاقب الابناء في الآخرة على ما ارتكبه أبوهم ؟ وهل من العدل أن يترك المسيئون(وهم آدم و بنوه )ويعاقب المسيح — وهو بريء — على ذنوبهم و بدون رغبته وارادته كما هو ظاهر من عبارات الاناجيل في وصف حالته قبل الصلب وحزنه واكتئابه وكثرة تضجره وصلواته كقوله لربه ( ان امكن فلتعبر عني هذه الكاس) وقوله وهو مصلوب (إلهي إلهي لماذا تركتني) فان كان المسيح باعتبار ناسوته -كما يعبرون- غير راض عن الصلب كما يظهر من هذه العبارات فهل من العدل أن يحمل ذنب غيره ويصلب بسببه رغم ارادته ؟ الحق أقول انكم أردتم أن تفروا من تناقض موهوم بين عدل الله ورحمته فوقعتم فيما هو شر منه وهو نسبة الظلم الى الله تعالى في مؤاخذة بني آدم بذنب ابيهم وفي مجازاة المسيح بغير رضاه بدلا عنهم . وأين تضحية الذات في سبيل نفع الناس التي تزعمون أن المسيح علمكم اياها وتطنطنون بها ؟ واذا كان المسيح باعتبار ناسوته من نسل آدم لانه مولود من مريم العذراء ومتكون في رحمها من دمها فهو كباقي أولاد آدم واقع في ذنب أبيه فهو أيضا محتاج للكفارة مثلهم واذا يكون غير طاهر ولا معصوم من الذنوب كما تزعمون لانه (ابن الانسان) وناسوته مخلوق من العذراء بمقتضى التولد الجسداني. وان كان لم يتلوث بذنب آدم فلم تلوث غيره وكلنا من نسل آدم وكيف اذا يعاقب بغير رضاه من أجلنا وهو بريء من كل ذنب ؟ فما بالكم ياقوم تدعون أنكم تعرفون معنى العدل الالهي وحدكم وأنتم في الحقيقة لم تدركوا شيئا من معناه ؟!

العدل هو عدم نقص شيء من اجر المحسنين وعدم الزيادة في عقاب المسيء بما يستحق فهو توفية الناس حقهم بلا نقص في الاجر ولا زيادة في العقاب وعدم

المحاباة ومعاملة جميع الناس بالمساواة (١) فلا ينافي ذلك أن يزيد الله تعالى أجر المحسنين تفضلا منه تعالى وكرما ، ولا أن يعفو ويغفر للمسيء رأفة منه ورحمة . ولكن من الجمع بين العدل والعفو أن لا يضيع حقا من حقوق الآخرين الا برضاهم ، وأن لا يخص به فردا دون غيره من عبيده ، بل اذا عفا عن أحد منهم بسبب ما ووجد هذا السبب بعينه عند غيره عامله بالمثل لضرورة المساواة بين العباد في المعاملة والجزاء الاخروي . ومنه أيضا أن لا يساوي بين المحسن والمسيء في الثواب بل لكلٍّ درجات فمعفوه تعالى عن المسيء يقابل اعطاء المحسن زيادة عما يستحق من الاجر ولكن لكل منهما مقام معلوم في الآخرة فلا ظلم في العفو عن المسيء كما أنه لا ظلم في زيادة أجر المحسنين . فهذا هو معنى العدل والغفران اللذين ظنوهما ضدين لا يجتمعان الا بطريقتهم العجيبة الملفقة ودعواهم أن لا غفران الا بصلب البريء ( المسيح ) وسفك دمه ، فوقعوا بذلك في شر مما فروا منه على أن دم المسيح في الحقيقة لم يسفك كما بينا سابقا

ولا ندري كيف اشترطوا وجوب سفك الدم للغفران وخضب الارض به إرضاء للإله الذي يحب الدم كثيرا كما يزعمون ، وقالوا أن ما سفك من دم المسيح كان قليلا جدا لا يكفي للموت ولم يكن هو السبب فيه ولذلك لم يذكر في الاناجيل أن دمه فاض على الارض أو خضبها كدم الذبائح التي يزعمون أنها رمز له

وإن كان مجرد الموت يكفي للغفران لجميع الناس يموتون مع شيء من الالم قليلا او كثيرا بحسب الاحوال فلم لا يكفر موت كل شخص عن ذنبه ؟ ومن أين لهم اشتراط هذا الشرط (أي وجوب سفك الدم) للغفران ؟؟ وما هذا التحكم في معنى العدل الالهي وهو ما لم ينطبق على العقل ولا على اللغة . فان كانوا أخذوا هذا الشرط من وجوب الذبائح في الشرائع الالهية السابقة للمسيح فقد بينا لك حكمة الذبح فيها . وكان الواجب عليهم أن يشترطوا أيضا إحراق

(١) المعادلة المماثلة والمساواة ومنه قولك هذا الشيء يعدل هذا اي يساويه والنظر القسط كما يستفاد من كتب اللغة وقواميسها وعمومها

الكفارة بالنار لان القرابين كانت تحرق بها كما هو معلوم من التوراة . اما العدل الالهي الذي ضلوا في بيان معناه فقد بيناه لك هنا بما ينطبق على قواعد اللغة والعقل و يتفق مع ما جاء في الكتاب العزيز .

فكما أن الله تعالى يوصف بكونه عادلا أو حكما عدلا فهو كريم غفور رحيم منتقم جبار شديد العقاب خافض رافع معز مذل قابض باسط أول آخر ولم يقل أحد من العقلاء إن القائل بهذه الصفات قائل بالمناقضات أو الاضداد . وهاك بعض ما جاء في القرآن الشريف في هذا الموضوع وهو الذي يتفق مع العقل الصحيح والحكمة . قال تعالى ( من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الامثلها وهم لايظلمون * ولا تكسب كل نفس إلاعليها ولاتزر وازرة وزر أخرى * ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين * وأن ليس للانسان الا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الاوفى * فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره * قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم * واتقوا يوما لاتجزي نفس عن نفس شيئا ولايقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ( ١ ) ولا هم ينصرون * أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساءمايحكمون * وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لايظلمون )

الدكتور
محمد توفيق صدقي

---

( ١ ) اما الشفاعة الثابتة في القرآن فهي ضرب من ضروب التكريم لبعض عباد الله الصالحين المقربين بأعمالهم فيأذن لهم فيتكلمون ويدعونه في وقت ترتعد فيه الفرائص وترجف القلوب ( ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ) ( لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا ) فالشفاعة هي تكريم للشافع ولاتنفع في الحقيقة أحدا من المشفوع لهم ( فماتنفعهم شفاعة الشافعين ) اه من الاصل وهذه الآية نزلت في الكفار

# انا لله وانا اليه راجعون

## ﴿ المصيبة الجلى بشقيقنا الشهيد الحسين آل رضا ﴾

يعزّ علي ياحسين ان أسمع لك نعيّا ، وأن أراك مبكيا مرثيا ، يعزّ علي ياحسين أن ا كون أنا الذي يعزى عنك ، وأنت أنت الذي كنت اودّ أن تعزى عني ، يعز عليّ ياحسين ان لا يمرّ عشر المحرم من هذا العام ، الا وأنت الشهيد الذي يجدد لنا ذكرى جدنا الحسين عليه السلام ، يعز علي ياحسين ان ترثى في المنار ، وقد كنت أرجو أن ترث المنار ، يعز عليّ ياحسين ان تقتضر في ريعان شبابك ، وعنفوان قوتك ، وأول العهد بتحقيق رجائي ورجاء الامة فيك ، فلئن بكيتك فأنت أحق الناس ببكائي ، وأجدرهم بني وحزني ، للصفات والمزايا التي اجتمعت فيك ، وما كانت ولن تكون لسواك ، فأنت أخي الشقيق ، وتلميذي النجيب ، وولدي البار ، ليس في أخوتي ولا سائر أهلي من هو أقرب الي منك ، ولا أعن بتربية أحد ولا تعليمه كما عنيت بك ، على ما آتاك الله تعالى من سلامة الفطرة ، وعلو الهمة وذكاء الفطرة ، وشرف النحيزة ، وعزة النفس ، والميل الى معالي الامور ، والعزوف عن سفسافها

الا إن مصيبتي فيك أيها الشقيق العزيز لأ كبر من مصيبة أمك الرؤم ، ولكنها ليست بأ كبر من مصيبة أمتك العقور ، المبتلاة في ولدها بالعقم أو العقوق ، تثكل البارّ منهم قبل أن تجني ثمرة خيره وبره ، ويعمر العاق فتتجرع الحميم والغسلين من عقوقه وشره ، فان بكيتك معهما ، فان مصيبتي بين مصيبتيهما ، وان العين لتدمع ، وإن القلب ليحزن ، وانا على فراقك ياحسين لمحزونون ،

ولو شئت ان أبكي دما لبكيته … عليك ولكن ساحة الصبر أوسع

فان كان رزؤك كبيرا فالله ا كبر ، وان كان الرجاء فيك عظيما فالرجاء في الله أعظم ، فلله ما اعطى ولله ما أخذ ، انا لله وانا اليه راجعون ، فهنالك الملتقى ان شاء الله تعالى ، فانت في قوة إيمانك ، وسلامة قلبك ، وعظم إخلاصك ، وطهارة شبابك ، وقيامك بالواجبات ، وتنزهك عن الفواحش والمنكرات ، بل ترفعك عن مواقع

الدنايا والمغوات، وبما رزقك من الشهادة ، وما حباك به من حسن الخاتمة ، جدير بأن تكون في مقعد الصدق ، من حظيرة القدس ، وهذا أعلى ما يعزينا عنك

ان الله جلت حكمته ، ونفذت مشيئته ، قد امتحن قلوبنا بخطبك ، وابتلى إيماننا برزئك ، فأرجو أن أكون من الصابرين على قضائه ، المستحقين لصلواته ورحمته ، الشاكرين له ما أنعم به من صدق الايمان ، وقوة الارادة ، واتباع هدي الكتاب والسنة ، فقد جاءتني الصدمة الاولى وانا بين صحبي ، فملكت بفضله تعالى نفسي ، وحبست مجاري الدمع من عيني . ور بطت على قلبي وكاد يتصدع بين جنبيّ ، وعقدت جلسة لجنة مدرسة الدعوة والارشاد ، ولم أشعر بمصابي احداً من الاخوان ، وإنما اذكر هذا تحدثاً بالنعمة ، ورجاء ان أكون أهلا للاسوة الحسنة ، فاجعل اللهم هذا جهاداً في سبيلك ، وسبباً لمرضاتك ، وآتنا به ما وعدتنا على رسالك ، وعوضنا خيراً مما أخذت منا فانك على كل شيء قدير

كان هذا المصاب أثراً من شر آثار الفوضى واختلال الاحكام ، وفساد الحكام ، في البلاد السورية ، وغيرها من البلاد العثمانية ، فقد اشتدت هذه الفوضى في وطننا ( لواء طرابلس الشام ) في السنة الماضية حتى ترك كثير من الاحداث والشبان الاعمال ، وتدججوا بالاسلحة النارية في عامة أوقاتهم ، وكثر حديثهم في الرجولية باستعمالها ، والفتك بها ، وزالت من نفوسهم هيبة الحكومة ، واعتقدوا ان القصاص قد نسخ منها ، ولم يبق بين الواحد منهم وبين قتل العمد الاغضبة تعرض له ، أو استياء من أحد يلم بنفسه ، واتفق ان الفقيد صادف واحداً من هؤلاء النحوت الانذال يؤذي بناً في الطريق فنهره فاستلّ النذل مديته وهجم بها على فقيدنا وقال له انني أنتظرهنا لاقتلك أنت ، فقبض عليه الفقيد وما زال يعالجه حتى اخذ منه المدية ، واراد ان ينصرف ، فاخرج الشقي مسدسه وأطلقه عليه ست مرات وكان في كل مرة يروغ فتخطئه الرصاصة حتى أصابته السادسة فحملوا وذهب الى الدار . وعلم بذلك الاصدقاء في طرابلس فبادروا مع طبيب عسكري وطبيب غير عسكري الى الكشف عليه فلم يهتد الاطباء الى الرصاصة وظنوا من غير علم به جراحية أنها غير قاتلة ، وقد كتب الفقيد اليّ والى شقيقنا السيد صالح بطاقة هذا نصها :

سيدي الشقيق

« إني احمد الله اليكما ان نجاني من مصاب كبير ، وخطر خطير ، وذلك ان الشقي عبد الوهاب الباشا اطلق على عيارات نارية اصابني واحد منها في إليتي وقد ضمد الجرح الآن، على انه لم يمض عليه اسبوع ولا بد من بقائي في البيت اياما .

وصل كتابك الاخير وسأجيبك عنه ان شاء الله تعالى . الجميع بخير

٣ المحرم سنة ١٣٣٠ حسين وصفي رضا

فكتبت اليه والى غيره اني لا أطمئن ولا يرتاح قلبي الا اذا استخرجت الرصاصة أو عرف مكانها وانه غير مقتل، ولكن لم يرجع الاالنعي ، فقد تبين أن الرصاصة اخترقت الجنب ووصلت الى الاحشاء ، وفعلت فعلها في الامعاء ، وذلك مساء عاشر المحرم ، وخرجت روحه الطاهرة في صبيحة حادي عشره ، بعد ان نطق بالشهادة وحمدالله انه لم يسفك دما، ولا قارف محرما، وكانت هذه البطاقة آخر العهد بكتابة فقيدنا رحمه الله تعالى

كان المصاب بالحسين عظيما على كل من عرفه من أهل العلم والفضل والادب أو عرف شيئا من مزاياه العالية ، وما عارفوه على حداثة سنه بالقليلين . وسنذكر عوذجا من تعازيهم في جزء آخر، ونكتفي هنا بكلمة من كتاب تعزية لاحد أهل العلم والادب في طرابلس الشام في سوء الحال والفوضى هناك وهو الشيخ محمد نجيب الخلار قال :

« أرفع لمقامكم السامي هذه العريضة وان قلبي يضطرب من شدة هول تلك الحادثة التي اودت بجميع من عرف ومن لم يعرف صفات فقيدكم بل فقيد جميع الناس المرحوم أخيكم السيد حسين رضا من رصاصة أتته من يد أثيمة كلا بل من دولة آثمة لاتعرف للانسانية حقاً ولا للرعية ذمة يجبرانها على القيام بحفظ أموالهم . وأعراضهم وأرواحهم وخصوصاً أهل العلم والفضل والشرف منهم الذين يذهبون كل يوم ضحية تهاملها وتكاسلها عن تعقيب أولئك الكفرة الفجرة الذين يعيثون في الارض فساداً لايهابون الناس ولا الحكومة بدليل أنها أرسلت منذ عشرة أيام أحد ضباطها رديف بك وهو من خيرة رجالها لتعقيب بعض الاشقياء الذين عجزت عن إلقاء القبض عليهم نظرا لعدم اهتمامهم بقوة الحكومة وسطوتها فرجع المسكين محمولا على الاكف مدرجا بدمائه الطاهرة بعد ان كان كالاسد لايهاب من وظيفته أحداً فواروه جدثه ولم تزل الاشقياء للآن زمراً زمراً داخل البلدة وخارجها يقومون باعمال لاتقبل الانسانية على تحملها وأصبحت الاهالي في اضطراب شديد من هول هذه الاعمال القبيحة ومن جملتها مصيبتنا بالغصن الرطيب والركن العلمي والذكي المفرط المرحوم السيد حسين رضا » الخ